ملحق

الجمعة ٣ كانون الثاني ١٩٩٧

هكذا بدأ الحزب الشيوعي بتطوير نفسه في فرنسا

د. يوسي بيلين في لقاء خاص بـ

لن يبقى أي لاجئ فلسطيني

الاغتراب الكبير!





سلام آمن.. أيضاً لفلسطينيي الخليل!

في حديث خاص بـ «الاتحاد»

د. يوسي بيلين: لن يبقى حتى فلسطيني واحد.. لاجئا!

[illegible]

● أجرى اللقاء: نظير مجلي ●

● د. يوسي بيلين، شخصية فريدة في عالم السياسة الاسرائيلية. يوحي بالصدق، وهي صفة غير عادية في الساحة السياسية. وبقدر ما تخدمه هذه الصفة يمكن ان تحطم مستقبله السياسي.

انه دبلوماسي شاب، تمكن خلال سنوات عمره الثمانية والاربعين، من ان يتبوأ سلم القيادة ذا الدرجات الكثيرة. فكان صحفيا. واصدر ثلاثة كتب. وحصل على شهادة الدكتوراة في العلوم السياسية. واصبح ناطقا بلسان حزب «العمل» (٧٧ – ١٩٨٤) وسكرتير لحكومة الوحدة الوطنية برئاسة بيرس (٨٤ – ١٩٨٦). وفي زمن حكومة رابين تولى منصب نائب وزير الخارجية، ومن خلاله هندس اتفاقات اوسلو. ثم وزير في مكتب رئيس الحكومة. ووزير الاقتصاد والتخطيط.

وفي مناصبه تلك كان امينا لطريق حزب «العمل»، لكنه حاول ايضا الثورة الهادئة عليها من خلال مفاهيمه المختلفة ورؤيته المغايرة، فكان من اوائل قادة حزب «العمل» الذين افصحوا عن رأيهم بتأييد الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية واقامة دولة فلسطينية. وحارب من اجل رأيه هذا واعلنه صراحة. بل حمله وذهب به الى المستوطنين اليهود في الاراضي الفلسطينية المحتلة والى الاحزاب الدينية ورؤسائهم الروحيين. فقال لهم: «الدولة الفلسطينية ستقوم حتما. ليس هناك حل اخر. تعالوا نبحث معا عن طريق للتعايش معها بأقل ما يمكن من اضرار وباكثر ما يمكن من مكاسب». وبهذا كسب ودهم وثقتهم واعتبروه صادقا وصريحا. وقام بتنظيم العديد من اللقاءات بين الفلسطينيين والمستوطنين.

وبدأت علاقتي مع اليمين، بعد قتل رابين. فقد كانت تلك صدمة كبرى بالنسبة لي. وقلت في نفسي: علينا الا نترك هذا الجمهور. علينا ان نصل اليه ونقنعه بانه مخطئ» هكذا يقول. ويضيف ان مقتل رابين جعله يسعى لتقديم مفاوضات الحل النهائي، لكن بيرس وبقية قادة حزب «العمل» منعوا ذلك.

في حينه كان مقتنعا انه لا يصلح لرئاسة حزب «العمل». لكنه غيّر رأيه: «براك هو السبب – يقول – فقد قررت ان اطرح بديلا لاسلوبه ولفكره». والبديل، حسب رأيه، ان «تكون واضحا مع الجمهور وتقول له بصراحة ما هي افكارك وبرامجك وخطوطك الحمراء. يقولون ان هذا يخدم الخصم، من «الليكود»؟ ها انا احاور «الليكود» واقربه من مواقفي، وها هم في «الليكود» يتحدثون مثلي عن دولة فلسطينية. والجمهور يسمع».

كان في زيارة لمدينة حيفا، مطلع هذا الاسبوع، ضمن جولاته الكثيرة في البلاد في الاونة الاخيرة، فقرر فجأة ان يزور مكاتب جريدة «الاتحاد»، وهي خطوة لم يقدم عليها اي مسؤول اسرائيلي ابدا. اذ ان الصحيفة تعتبر «متطرفة» بالمقاييس الاسرائيلية الرسمية وناصبوها العداء طول الوقت. وفي دار «الاتحاد»، لم يتردد في القول بصراحة انه لا يؤيد فكرة جعل اسرائيل دولة لكل مواطنيها ويريدها ان تكون يهودية. «وانا اؤيد المساواة الكاملة للعرب في اسرائيل، لكن هذه هي دولة اليهود الوحيدة، ويجب ان تبقى كذلك».

وهكذا جرى الحوار بيننا:

● بيلين: خلال اللقاء، في دار «الاتحاد» ●

● من الذي يجب ان يخاف من مشروعك للحل الدائم، وانت تتفق به مع القائد الفلسطيني ابو مازن من جهة ومع رئيس كتلة «الليكود» في الكنيست، ميخائيل ايتان، من جهة ثانية؟

– د. بيلين: يجب ان يخاف منه كل من لا يريد السلام من كلا الطرفين.

● هذا كلام جميل، لكنه عام. وانت تعرف اننا لم نقصد تلقي جوابا كهذا من السؤال. فالحل الذي يرضى به «الليكود» يخيف انصار السلام من كلا الطرفين.

– د. بيلين: انا اؤمن بأن كل من يريد السلام، يجده. وكل من لا يريد السلام سيفتش عن الذرائع لكي يبرر رفضه للسلام. من يريد السلام يكون على ثقة بأنه سيتوصل الى حل لقضية القدس ولقضية الحدود ولقضية اللاجئين ولطبيعة الدولة الفلسطينية التي ستقوم حتما.

● حدثنا عن الحكاية من بدايتها. كيف بدأت فكرة المشروع مع ابو مازن، ثم مع «الليكود»؟

– د. بيلين: كان ذلك مباشرة بعد التوصل الى اتفاقيات اوسلو. لقد كان واضحا اننا سنصل في مرحلة ما الى المفاوضات حول الحل النهائي. وانا من جهتي كنت اومن بأن هذه المفاوضات يجب ان تبدأ فورا، لكن رأيي لم يلق التأييد في القيادة.

● في زمن حكومة رابين؟

– د. بيلين: نعم، لذلك، قلت في نفسي ثم اشركت ابو مازن (محمود عباس، الرجل الثاني في منظمة التحرير الفلسطينية) في افكاري، ان علينا البدء في مفاوضات اكاديمية حول الحل النهائي، تماما كما بدأنا في اوسلو. وقد وافق ابو مازن. فعقدنا حوالي عشرين لقاء، انتهينا فيها الى اعداد وثيقة تضع مبادئ للحل النهائي، وليس اتفاقا. هذه الوثيقة ليست ملزمة لأحد، بل اتفقنا على ان تكون قابلة للنفي اذا سئلنا عنها. وهكذا حدث فعلا. لقد كانت تلك اساسا للتفاوض.

● متى توصلتم الى تفاهم كامل حول هذه المبادئ؟

– د. بيلين: كان ذلك في نهاية تشرين الاول ١٩٩٥، قبل اربعة ايام من قتل المرحوم رابين.

● رابين لم يعرف شيئا عن المفاوضات؟

– د. بيلين: ابدا.

● وشمعون بيرس؟

– د. بيلين: بيرس ايضا لم يكن على علم بهذه المفاوضات حتى ذلك الحين. ابلغته بها، فقط بعد اسبوع من مقتل رابين. وكان رأيي ان هذا هو الوقت للبدء في مفاوضات حول هذه الوثيقة.

● وماذا كان رأيه؟

– د. بيلين – لقد بارك الوثيقة والجهد الذي اوصلنا اليها. لكنه لم يوافق على بدء المفاوضات حولها ولا حتى على طرحها للرأي العام، معتقدا انها ستضعف احتمالات حزب «العمل» للفوز بالانتخابات. وقد تعززت لديه هذه القناعة بعد العمليات الانتحارية الارهابية في القدس وتل ابيب واشكلون. لذلك رأى ان نخوض الانتخابات اولا، ثم نطرح الوثيقة في مفاوضات الحل النهائي بعد الانتخابات.

● انطلق بيرس من منطلق الثقة بأن النصر في الانتخابات مؤكد.

– د. بيلين: اجل.

● وكيف وصلت الى «الليكود» والتفاوض معه حول هذه الوثيقة؟

– د. بيلين: بعد صدمة الانتخابات فكرت فيما يمكن عمله..

● ألم تبدأ الحديث في الموضوع مع «الليكود» قبل الانتخابات؟

– د. بيلين: كانت هناك احاديث عامة حول الموضوع من دون تفاصيل، مع عدد من شخصيات «الليكود».

● نتنياهو واحد منهم؟

– د. بيلين: لا. انا لم اجتمع معه ولكنني اعتقد انه كان على علم بما دار بيننا. لقد تحدثت بالاساس مع ميخائيل ايتان (رئيس كتلة الائتلاف الحاكم اليوم). وبعد الانتخابات عدنا الى الحديث مرة اخرى. فـ «الليكود» اصبح في الحكم وسيبقى فيه حتى سنة ٢٠٠٠، الا اذا حصلت مفاجأة كبرى. ومن الخطأ تجاهله. ويظل لنا واحد من امرين، فاما ان يلقى بالوثيقة الى سلة المهملات او ان تستمر حولها المفاوضات. فقررت ان اجرب الامر مع «الليكود». وفعلت. فهكذا اخدم اهدافي اكثر.

● ألست انك في المعارضة؟

– د. بيلين: لا، بالعكس. فأنا اريد ان نكون في الكنيست معارضة مكافحة ومقاتلة. لكن هذا لا يتناقض مع توجهي لدفع افكاري الى الامام، خصوصا وان اسقاط هذه الحكومة والذهاب الى انتخابات جديدة هو امر بالغ الصعوبة، حسب القانون الجديد.

● ولماذا انت بالذات؟ هكذا اختار بيرس؟

– د. بيلين: كلا. انا صاحب المشروع. وانا بالذات اعرف كيف اتوجه لـ «الليكود»، اعرف ما هي الامور الممكنة وما هي المستحيلة واعرف ما هي الخطوط الحمراء وما هي الامور التي يمكن التوصل فيها الى حلول وسط. وما حاولت واحاول التوصل اليه مع «الليكود» هو مبادئ تفاهم، لا تنقض اتفاقي مع ابو مازن. قد يكون من الصعب اخذ موافقتهم على كل ما اتفقت عليه مع ابو مازن، الا ان الامر المؤكد هو انه لن يكون تناقض. لذلك ارى من الان الخوف، في اوساط ما في اليمين، يعرضون ويشككون، وكذلك في اليسار، اذ يتهمونني باضاعة الفوارق بين «العمل» و«الليكود».

● ولكن، هناك فعلا ما هو مخيف. فأنت توصلت مع ابو مازن الى اتفاق حول اقامة دولة فلسطينية. بينما «الليكود» يرفض هذه الدولة. هناك تناقضات واسعة في مواقف الاطراف. فكيف تحلها؟

– د. بيلين: الحكمة السياسية هي ان تعرف كيف تجابه التناقضات. السياسي ليس معلقا صحفيا يصور التناقضات ويذهب للنوم. انما عليه ان يقول: ها انا ارى التناقضات. ولكي احقق ما اومن به عليّ ان ابني

الجسر الذي يمحوها. فاذا امكن التوصل الى اتفاق مع الفلسطينيين على ان نقوم نحن بضم قسم من الاراضي التي تقوم عليها بعض المستوطنات اليهودية في الضفة الغربية او قطاع غزة ونضعها تحت السيادة الاسرائيلية، وبالمقابل نعطيهم اراض من اسرائيل، مناطق من شمالي النقب لتوسيع الضفة الغربية وتكون تحت سيادة الدولة الفلسطينية فان هذا امر منطقي.

● تحدثتم ايضا عن تبادل بلدات عربية مثل ام الفحم مقابل اراضي مستوطنات يهودية..

– د. بيلين: لا. اعوذ بالله. هذه كانت نكتة بائسة اطلقها احدهم وتحدثنا حولها في اطار المزاح.

● نكتة؟ اي انك تعارض مثل هذا الامر؟

– د. بيلين: بالطبع، اعارض ذلك مبدئيا. فالعرب في اسرائيل يرون انفسهم جزءا من دولة اسرائيل. وقد كانت لي عشرات اللقاءات مع قادة العرب في اسرائيل، واكدوا جميعا انهم يربطون مصيرهم بالبقاء في اطار دولة اسرائيل. وما يريدونه هو ضمان حق شعبهم الفلسطيني في تقرير مصيره واقامة دولته المستقلة في الضفة الغربية وقطاع غزة وبناء السلام العادل والشامل.

● سنأتي الى وضع العرب في اسرائيل. المهم ان مشروع التبادل مع ام الفحم، سقط عن جدول البحث، نهائيا.

– د. بيلين: بل، لم يطرح للبحث ابدا.

● قل لنا بصراحة. اي امر اسهل عليك: التفاوض مع ابو مازن ام مع ميخائيل ايتان (الليكود)؟

– د. بيلين: (يضحك كثيرا. ثم يصمت طويلا. ويجيب:) انظر. عندما تحاور انسانا من دون وسائل اعلام ومن دون اي التزام، تجده انسانا اخر. بالنسبة لي كان حديثي مع ابو مازن مثيرا وممتعا، وكذلك مع رجال «الليكود». في مثل هذه الحوارات تجد امرا بالغ الاهمية. كل شخص يأتي ومعه عالمه الخاص، والقيود التي تحدد افكاره ويعتبرها مبادئ لا تتغير ولا تتبدل. فعندما يجلس هذا الشخص مع من يفكر مثله، تجده يعزز هذه المبادئ والافكار. لكن، عندما يجلس مع شخص اخر من فكر اخر، ويسمع باصغاء وباخلاص، يبدأ بمناقشة نفسه. فاذا كان صادقا مع نفسه، يجد امورا عديدة لم يفكر فيها مسبقا وهي مهمة بالنسبة للطرف الاخر. فيبدأ بطرح الحلول. لقد كنا نجلس ساعات طويلة، ٤ – ٥ ساعات كل مرة، خلال ٢٠ لقاء مع الفلسطينيين ومثلها مع «الليكود».

● ما الذي تغير لدى «الليكود» في هذه اللقاءات؟

– د. بيلين: تستغرب. في احد اللقاءات، التي شارك فيها وفدان من حزب «العمل» و «الليكود»، سأل احد الحاضرين من احد الحزبين ما يلي: «ما هو موقف حزبنا في هذه القضية. انا لا اعرف فعلا». فأجابه احد الحاضرين من حزبه: «يا غبي. نحن ليس عندنا موقف. نحن عندنا مبادئ». اعتقد ان هذا السؤال ينطبق علينا جميعا، «العمل» و «الليكود» وكذلك الفلسطينيين. فكل واحد يعرف ما هي مواقفه المبدئية. لكن، حين يطرح الموقف المبدئي، يعقبه السؤال: وكيف نحل هذه المشكلة. وخذ اعقد مشكلة، ستجد لها الحلول.

* لن يبقى لاجئ واحد *

● دعنا نأخذ، فعلا، اعقد مشكلة. اللاجئون من عام ١٩٤٨. كيف طرحتم حلها مع ابو مازن ومع «الليكود»؟

– د. بيلين: مشكلة القدس اعقد من هذه القضية. ولكن، لنتحدث عنها فعلا. لقد طرحناها على هذا النحو: قلنا ان اللاجئ الفلسطيني الذي يعيش اليوم في لبنان او غيرها، اذا سألته اليوم، من اين انت. يجيبك: من حيفا. من اللد. من الرملة، مع انه ولد بعد العام ١٩٤٨. هذا اللاجئ يطالب اليوم بالعودة الى بلده. وتجد بالمقابل المواطن اليهودي الذي يقول: «لا عودة. فاذا عاد اللاجئون الى هنا مع ذريتهم فسيحدث انفجار». فنقول: تعالوا نعيدهم الى المناطق، حيث الدولة الفلسطينية. هنا ايضا سيحدث انفجار. اذن ما هو الحل؟

انا طرحت الموضوع بشكل اخر، وسألت: اليس واضحا ان عودة الفلسطينيين اللاجئين الى بلداتهم في نطاق دولة اسرائيل، يسبب مشكلة خطيرة لاسرائيل، ولذلك لن نقبله؟ فكان هذا مقبولا لدى الفلسطينيين، لانه منطقي. وقلت لـ «الليكود»: اليس واضحا ان اسرائيل لا تستطيع ان تمنع عودة اللاجئين الفلسطينيين للعيش في دولتهم، الى جانب دولة اسرائيل، لان هذا هو المنطق. فكان هذا مقبولا عليهم، على الرغم من انهم يرون فيه تنازلا رهيبا.

وطرحت على الطرفين السؤال: اليس صحيحا ان ما يبدو، رهيبا اليوم، التنازل عن العودة الى حدود ٤٨ من جهة الفلسطينيين والتنازل عن منع العودة الى حدود ٦٧ من جهة «الليكود»، سيكون اسهل بعد ٥٠ سنة. فكان الجواب ايجابيا. وهكذا بلورنا الموقف المشترك. كل طرف تنازل عن شيء من حلمه. في اسرائيل يبدو ذلك مفاجئا جدا، خصوصا من طرف «الليكود»، لكن الحقيقة تبقى حقيقة. ولقد فوجئت من سرعة التجاوب والاستعداد للتوجه نحو حلول واقعية.

● وهل يوافق نتنياهو على ذلك؟

– د. بيلين: نتنياهو بارك مبدأ الحوار بيننا. وعلى حد علمي، انه مطلع على سير الامور. فهو قريب جدا من ميخائيل ايتان.

● اريد ان اضع نفسي مكان اللاجئ الفلسطيني في مخيم لاجئين في لبنان وغيرها. واسألك: بأي حق تحرمني من حقي في العودة الى بلدي الذي طردت منه، وطني. فأي سلام هو هذا؟ فماذا تجيبه؟

– د. بيلين: تعال نفترض فعلا، ان صحيفتك هذه وصلت الى ذلك اللاجئ. اقول له ان يجري اولا المقارنة بين وضعه اليوم ووضعه في حالة وجود اتفاق سلام. وانا واثق من انه سيكون وضعه افضل.

● كيف؟

– د. بيلين: اولا، لن يبقى لاجئا. لن يكون هناك وضع، لدينا فيه اتفاق موقع على الحل الدائم وفي الوقت نفسه يوجد لاجئون. فالحل الدائم يجب ان يضمن انهاء مشكلة اللاجئين.

● ماذا تعني بالضبط. هل حل مشكلة اللاجئين حيث هم الان؟

– د. بيلين: لا. اقصد ان اللاجئ في لبنان اليوم لا توجد له اية حقوق مواطنة ولا عمل. ولكن في حالة وجود اتفاق، يعرف هذا اللاجئ انه يستطيع العيش في دولته الفلسطينية، ان اراد ذلك، ويستطيع ايضا البقاء في لبنان او الذهاب الى اي بلد اخر في العالم مع جواز سفر من الدولة الفلسطينية، المعترف بها، وعندها يستقبل مثل مواطن من اية دولة اخرى في العالم. له كيانه وهويته المحترمة دوليا.

● الحق الاساسي في العودة، يضيع.

– د. بيلين: قلت ان الحل السلمي مبني على الواقع، وكل طرف يجب ان يتنازل عن بعض احلامه.

● هذه حقوق، لا احلام، فحسب.

– د. بيلين: اجل، ويتنازل عن حقوقه، من اجل الافضل. والافضل هو السلام والاستقرار. وبالنسبة للفلسطينيين، اطرح حلا باقامة دولة مستقلة. وللاجئين، ستكون مشاكل جدية في مجال العيش والانتقال والبيت وغيرها، وكل هذه مشاكل اقترح ان يقام لها جسم دولي، بدلا من وكالة الغوث، يقوم بحلها. وعلى هذا الجسم ان يبنى على ميزانية دسمة، تساهم فيها كل الدول المعنية وبينها اسرائيل، اضافة الى الدول الغنية. ويقوم بدفع تعويضات مالية او مادية بالاتفاق وبالتفاهم. المهم: لا يبقى فلسطيني واحد من دون مواطنة رسمية. لا يبقى اي لاجئ.

● في «الليكود» يؤمنون بهذا الحل؟

– د. بيلين: دعني اجيب بما يلي: لا اريد ان التزم باسم احد. ولكن، عندما طرحت مواقفي هذه، لم تقم امامي القيامة. بالمناسبة، تحدثنا كثيرا مع «الليكود» في هذا الموضوع. وكان علينا في البداية ان نشعرهم بالضائقة التي يعيشها اللاجئون والكف عن الاستهتار بها. وقد اقتنعوا بذلك، فانتقلنا للحديث عن حلول. واشركنا في الحوار اكاديميين على اطلاع بتاريخ اللاجئين. وتحدثنا عن اخطار عدم حل مشكلة اللاجئين. وهكذا.

* القدس.. عاصمة على مرحلتين *

● ان كان بامكانكم التوصل الى حل كهذا، لمشكلة اللاجئين، وصلتم بالتأكيد لحل مشكلة القدس.

– د. بيلين: الصحيح ان قضية القدس كانت وما زالت عقدة العقد. والسبب انها مدينة ذات رموز مقدسة للجميع. وفي مثل هذه الرموز توجد مشكلة، حتى لدى غير المتدينين. ولكن، لا بد من حل ايضا لهذه القضية. وهناك اتجاه واضح وايجابي للحل، اتفقنا عليه مع الفلسطينيين.

● اقامة عاصمة في ابو ديس، تسمى القدس؟

– د. بيلين: قضية القدس بالذات هي القضية الوحيدة التي لم ننجح في التوصل الى حل واضح حولها. لذلك، توصلنا الى تفاهم بأن نطرح لها حلا يطبق على مرحلتين. في المرحلة الاولى يعترف الفلسطينيون بالقدس الغربية عاصمة لدولة اسرائيل، من دون اعادة تقسيم المدينة، ويعترف الاسرائيليون بالقدس عاصمة الدولة الفلسطينية. لكن القدس الفلسطينية لا تضم البلدة القديمة، بل ابو ديس، التي هي فعلا جزء من القدس وقمنا بتسليمها للفلسطينيين في اتفاقات اوسلو. وسكان القدس الشرقية، جميعا، حوالي ١٨٠ الف نسمة، سيكونون مواطنين في الدولة الفلسطينية. يصوتون لمؤسساتها. في الاحياء الفلسطينية في القدس، يتولى الفلسطينيون اقصى حد من ادارة شؤونهم البلدية، طبعا.. تحت مظلة بلدية القدس التي تضم هي ايضا فلسطينيين. الاماكن المقدسة، تدار اليوم، كما هو معروف، بأيدي الاوقاف الاسلامية بالنسبة للمسلمين والسلطة الكنسية بالنسبة للمسيحيين، ولا ارى مشكلة في استمرار هذا، مع علاقة اقوى مع الفلسطينيين.

● اي الاماكن المقدسة في القدس خاضعة للدولة الفلسطينية؟

– د. بيلين: لا اعتقد ان هناك مشكلة في ان تتنازل اسرائيل عن سيادتها على الاماكن الاسلامية او المسيحية المقدسة. فأنت عندما تدخل اي بيت فلسطيني تجد صورة الصخرة والحرم معلقة في صدر الديوان. فلماذا نبقيها معنا؟ يمكن ان نجد لها حلا تكون فيه مثل مبنى السفارات الاجنبية. فهو منطقة سيادة للسفارة وحدها، هكذا في كل مكان في العالم. فما المانع ان نتوصل الى حل كهذا حول الاماكن المقدسة؟

● والمرحلة الثانية؟

– د. بيلين: هذا الحل الذي ذكرته يمكن ان يكون في مرحلة واحدة ويمكن ان يكون على مرحلتين. لهذا الغرض اقترحت اقامة لجنة اسرائيلية – فلسطينية مهمتها البحث في حلول لكل المشاكل المرتبطة بالقدس، من دون وضع جدول زمني. فالحل هنا مركب جدا. لكن، ايضا، في هذه القضية.. لن يتحقق كل الحلم لأي طرف. واعتقد ان قيام دولة فلسطينية ذات سيادة، هو الانجاز الاكبر لكل انصار السلام.

● اثير اقتراح اردني مؤخرا حول جعل القدس عاصمة للاديان الثلاثة. هل لك ضلع في الموضوع؟ وهل لهذا الغرض دعيت الى الاردن (امس الخميس)؟

– د. بيلين: لا. لا علاقة لي بالموضوع. وزيارتي للاردن تأتي في سياق اخر، ضمن الاستمرار في علاقات سابقة وتبادل الآراء. وانا احب ان اوضح هنا حقيقة معروفة. فالعديد من الدول العربية تجد لنفسها علاقة وطيدة وعزيزة مع القدس، مثل الاردن والسعودية والمغرب والفاتيكان. نحن قلنا: نتفاوض حولها مع طرف واحد، هو الطرف الفلسطيني. والفلسطينيون يحلون مشكلتهم مع امتهم العربية ومع كل ذوي الشأن. فما لنا نحن وهذا الموضوع.

* خيبة.. من العلاقات مع العالم العربي *

● نلاحظ انك تتحدث فقط عن الفلسطينيين وحل القضية الفلسطينية، مع انك تلميذ وزميل شمعون بيرس، صاحب فكرة «الشرق الاوسط الجديد». فماذا تفكر نحو العالم العربي؟

– د. بيلين: (صمت طويل..) بالنسبة للبنان، انا اؤيد ان ننسحب فورا الى الحدود الدولية اذا وجد حل معقول لجيش الجنوب، مثلا ادخاله جزئيا في الجيش اللبناني. ولا ارى مشكلة في هذا الانسحاب. فان ضرب «حزب الله» نحونا، نعود وندخل.

● لا تتكلم كرجل سلام، الان.

– د. بيلين: بالعكس. انا لا انتظر اتفاق سلام حتى انسحب من لبنان. انما ابادر للانسحاب من جانب واحد، لاظهار نوايا سلمية.

● اي انسحاب من جانب واحد، هذا الذي تشترط فيه حل مشكلة جيش لحد العميل؟

– د. بيلين: انه الحل الذي اقترحه على طرف ثالث، الولايات المتحدة، مثلا. وهي تتولى شؤون التفاهم مع الاخرين.

● وماذا عن سوريا؟

– د. بيلين: لدي خيبة امل كبيرة وتشاؤم من الموقف السوري. اعتقد ان الرئيس حافظ الاسد يخاف السلام.

● يخاف السلام؟

– د. بيلين: نعم. يخاف من التطبيع ومن تدفق السياحة الاسرائيلية وغير ذلك. اعتقد ان الاسد صوت الى جانب «الليكود»، فهو اسهل للتعامل معه. وها هو حصل على «الليكود».

● كيف تقول هذا؟ لقد اعلن الاسد انه مستعد لمبدأ، الارض مقابل السلام، على اساس: الانسحاب الكامل من الاراضي السورية مقابل سلام كامل.

– د. بيلين: نعم. ولكنهم يريدون ان ننسحب الى حدود الرابع من حزيران، وليس الحدود الدولية المقررة.

● ما الفرق بالضبط؟

– د. بيلين: جوهريا، لا فرق. فالحدود الدولية تضمن لسوريا الجولان بكل جباله وتلاله واراضيه. هذه

(البقية على ص ١٥)

● مخيم البداوي الفلسطيني في لبنان: لن يبقى لاجئ ●



* الجندي الاسرائيلي، نوعام فريدمان، يطلق الرصاص من رشاشه على الفلسطينيين العزّل في السوق المركزي في الخليل *

«الاتحاد» تلتقي جرحى الجريمة الاخيرة في الخليل وشهود عيان عليها..

أمن فلسطينيي الخليل اولا!

لـ ■ سبعة جرحى برصاص الجندي المتطرف، وتسعة جرحى برصاص جنود الاحتلال الاخرين. جريمة بشعة كان يمكن ان تكون ابشع، فمن يمنع ارتكاب المجزرة القادمة؟ وهل يمكن توفير الامن للفلسطينيين اذا بقي المستوطنون المتطرفون في بؤرهم، تزورهم الوفود «المتضامنة» معهم مرورا بقبر «القديس» المجرم غولدشطاين!

● تقرير: كوثر سلام ●

● أمس الاول الاربعاء، اول ايام العام الجديد، حدثت فيه جريمة جعلت من المقولة التفاؤلية «كل عام وانتم بخير» تفقد معناها في الخليل. هذه الجريمة التي ارتكبها جندي اسرائيلي متطرف اعادت الى الذاكرة تلك المجزرة الرهيبة التي ارتكبها المجرم باروخ غولدشطاين في الخامس والعشرين من شهر شباط ١٩٩٤ والتي ذهب ضحيتها (٥٤) شهيدا واصيب المئات بجراح بين متوسطة وخطيرة.

وهذه الجريمة الجديدة لم تفاجئنا بقدر ما كنا نتوقعها، فما دام المستوطنون المتطرفون موجودين في الخليل وتتوافد عليهم الوفود المتطرفة تضامنا معهم وزيارة قبر المجرم غولدشطاين الذي يعاملونه كقديس و«بطل قومي» عن جريمته البشعة، وما دام هناك من يغذي سموم العداء ضد الفلسطينيين ويحرض المتطرفين على اعمالهم.. فان ارتكاب الجريمة كان مسألة وقت فقط. ولا نستطيع ان نعزي انفسنا بأنه لم يسقط قتلى للتخفيف من هول هذه الجريمة، لان القرية تعرضت لمجازر أبشع. ولا يدل كل ذلك الا على ان الفلسطينيين هم هم الذين بحاجة للامن في الخليل. ولمنع الجريمة القادمة يجب اقتلاع المستوطنين وجنود الاحتلال من المدينة.

صباح امس الاول الاربعاء، فتح جندي متطرف نيران سلاحه الرشاش تجاه المواطنين الفلسطينيين فأصاب منهم سبعة في سوق الخضار المركزي وشارع السهلة، ليرتفع عدد الجرحى ليصبح (١٦) جريحا بعد تدخل قوات الاحتلال التي اخلت المواطنين من المكان بالقوة واطلقت الرصاص عليهم، ولم يسلم الفلسطينيون في هذه الاثناء ايضا من اعتداءات المستوطنين والمحتفلين بالجريمة!!

ويروي شهود العيان كيفية وقوع الجريمة في قلب الخليل. ويقول المواطن عبد المنعم قنيشة وهو صاحب بسطتي الخضار رقم (٢٩) و (٣٠) انه وما بين العاشرة الا ربعا والعاشرة صباحا كنت اقف الى جانب عربات الخضار قريبا من محلات البطش للقهوة. وشاهدت احد الجنود الاسرائيليين يرتدي زيا عسكريا يتوقف في وسط الشارع على بعد ثلاثة امتار من نقطة التفتيش العسكرية المقامة على نفس الشارع وامامها تماما وعلى بعد مترين من سوق الخضار يفتح سلاحا رشاشا تجاه المواطنين، مما ادى الى سقوط مواطنين على الارض».

واضاف «وعلى الفور هرعت قوات شرطة عسكرية بلباس لونه بيج فاتح واطلقت ايضا الرصاص تجاه المواطنين مما ادى الى سقوط مواطن فلسطيني برصاص احدهم امامي».

اما شاهد العيان الصحفي مازن دعنا فقال: «كنت اجلس في زاوية من الشارع الى جانب نقطة الفلسطيني العسكرية، ورأيت جنديا يتوقف وسط الشارع امام الجنود الاخرين ويطلق الرصاص العشوائي باتجاه المواطنين في السوق، وقد قام الجندي بتبديل مخزن رصاص [illegible] بعد انتهاء الاول الا ان [illegible]

وقال شاهد العيان [illegible]

بين لحظة واخرى الى ساحة حرب».

اما شاهد العيان الدكتور يوسف الشعراوي مدير مستشفى الاميرة عالية الحكومي في الخليل والذي تواجد صدفة في سيارته في موقع السوق فقال «سمعت صوت اطلاق رصاص في موقع السوق ورأيت مواطنين يسقطون على الارض، فنزلت من سيارتي على الفور وقمت باخلاء الجرحى وهم ينزفون واتصلت بسيارات اسعاف الهلال الاحمر الفلسطيني التي قامت بنقلهم الى المستشفى».

● تعزيزات عسكرية مكثفة ●

وعلى الفور بعد وقوع الحادث الاجرامي هرعت قوات معززة من الجيش الاسرائيلي الى المكان وطوقت منطقة سوق الخضار بالاف الجنود الذين انتشروا في كل مكان واعتلوا اسطح المنازل العربية في كل الاتجاهات بعد ان صوبوا بنادقهم ووضعوا اياديهم على الزناد ولبسوا كامل العدة العسكرية الواقية، حتى خيل للناظر اليهم انهم في ساحة حرب حامية الوطيس.

● تعليقات المواطنين في موقع الحدث ●

وعلق المواطنون الفلسطينيون على المشاهد المأساوية والاجراءات التي اعقبت وقوع الحادث الجبان فقال المواطن ناجح القصراوي «نحن الضحية في كل الظروف والاحوال، لقد قام الجندي بفعلته وجريمته النكراء في حين وقع العقاب الجماعي علينا نحن ابناء المدينة، وخير دليل ما تشاهدون امامكم»، واشار باصبعه نحو عشرات المستوطنين الذين وقفوا وسط قوات الجيش والشرطة يحتفلون بالحادث الاجرامي، في حين فرض نظام حظر التجول على المواطنين الفلسطينيين وتوقفت الدوريات العسكرية تغلق مداخل الشوارع وكذلك المدرعات والدبابات التي توقفت على تلال المدينة.

واضاف: «أليس نحن من بحاجة للامن في الخليل؟!».

● تصريحات الاسرائيليين والفلسطينيين ●

من جهته صرح القائد العسكري الكولونيل جادي بقوله: ان جنديا من خارج وحدات الجيش الاسرائيلي العاملة في مدينة الخليل قد توقف في الشارع العام واطلق النيران باتجاه سوق الخضار مما ادى الى اصابة مواطنين، في حين قام الجنود في نقطة المراقبة باعتقاله وتسليمه للشرطة، ونحن نحقق في القضية.

وقال قائد المنطقة الوسطى جابي اوفير في سياق حديثه مع المسؤولين الفلسطينيين «عليكم السيطرة على الحادث. لقد علمنا عن احتمالات وقوع مثل هذه الاحداث وهذا هو اول حادث يقع، وعلينا السيطرة عليه من اجل السيطرة على امثاله ولن يكون ذلك الا بتعاوننا مع بعضنا في مثل هذه الامور».

ورد القائد [illegible] على سؤالنا الموجه اليه حول امكانية السماح لاي جندي من خارج [illegible] مدينة الخليل بالدخول اليها [illegible]

القانون يسمح لكل جندي اسرائيلي التنقل بحرية في كل مكان.

كما اجاب على السؤال حول اطلاق جنود اخرين يعملون في موقع سوق الخضار النيران باتجاه المواطنين بقوله، ان ذلك قيد التحقيق مشيرا الى انها تهمة غير مؤكدة.

وحول فرض نظام حظر التجول على المدينة كاملة قال «ان هذا الاجراء جاء لمنع ردات الفعل والمقصود منه تهدئة الاوضاع في المنطقة». ولم يرد على السؤال حول عدم فرض نظام منع التجول على المستوطنين الذين يعربدون في شوارع المدينة ويقومون باستفزاز المواطنين!

وكان العميد عبدالفتاح الجعيدي قائد قوات الامن الوطني الفلسطيني في محافظة الخليل والعميد طارق زيد قد وصلا الى موقع الحادث بالتنسيق مع مكتب الارتباط المشترك، وقد طالب العميد عبد الفتاح الجعيدي الجانب الاسرائيلي بعدم السماح للمستوطنين بالقيام بمسيرات مناهضة لعملية السلام، وذلك في مثل هذا الوقت الحساس مشيرا الى ان مسيرة للمستوطنين كانت قد جرت قبل وقوع الحادث تقدمها المتطرف عضو الكنيست رحبعام زئيفي ومسؤول عسكري اخر، وسارت باتجاه الاحياء السكنية الفلسطينية وسط المدينة وصولا الى شارع بئر السبع حيث يوجد مكتب الامن الوقائي في الخليل.

وطالب الجعيدي بعدم فرض نظام منع التجول على المدينة كاملة والتحقيق في قضية اطلاق جنود اخرين النار باتجاه المواطنين في سوق الخضار.

من جهته قال مدير الشرطة العميد طارق زيد بأن ما حدث لن ينال من مسيرة السلام وستتم اعادة الانتشار في المدينة، وحمل الجانب الاسرائيلي مسؤولية الحادث المأساوي. وقال ان ما قام به الجندي من اطلاق الرصاص هو عمل اجرامي، المقصود منه النيل من مسيرة السلام وعلى الجانب الاسرائيلي ان يضبط المتطرفين في صفوفه ويقدم المخلين بالامن والقانون الى المحاكمة الرادعة.

● مصابو الجريمة النكراء ●

وقد وصل الى مستشفى الاميرة عالية الحكومي كل من المصاب عبد الكريم الاطرش وعمره (١٦) سنة واصيب في قدمه اليمنى، واخيه اكرم محمود الاطرش وعمره (١٧) سنة واصيب في قدمه اليمنى وكلاهما صاحب بسطة في سوق الخضار.

والمصاب سلمان ابو عبيد وعمر (٥٥) سنة واصابته في يده اليسرى وحمودة عزمي جابر وعمره (١٦) سنة واصيب في كتفه برصاصة خرجت من صدره. وشريفة الرجوب وعمرها (٢٥) سنة واصيبت في وجهها، ومحمد توفيق القيمري واصيب في بطنه وعمره (٣١) سنة. وخلف ابو حديد وعمره (٤٨) سنة والصحفي مازن دعنا، والنقابي خميس ابو الضبعات، وجهاد اسعد ابو نشار وعمره (٢٦) سنة، وحافظ احمد ابو تركي (٣٤) سنة، وثائر طارق الشرباتي وعمره (٧) سنوات، وعبد اللطيف ابو ميالة وعمره (٣٨) سنة، ورفيقة سلمان الهشلمون (٥٥) سنة، ونضال سيدي احمد واصابته في رجله اليمنى، وسليمان ابو تركي وعمره (١٥) سنة.

وهكذا تبلغ حصيلة مصابي يوم الاربعاء، من رصاص الجندي الاسرائيلي المتعمد والمصابين الاخرين من قبل الجنود الاحتلاليين (١٦) فلسطينيا، اصابة ثلاثة منهم خطيرة والآخرون اصاباتهم متوسطة.

«والاتحاد» تجولت في اقسام مستشفى الاميرة عالية الحكومي والتقت المصابين في المستشفى..

الطفل ثائر طارق الشرباتي وعمره (٧) سنوات واصابته بالغة في وجهه قال انه قد ذعر لدى سماعه صوت اطلاق الرصاص وركض نحو منزلهم في شارع «الاخوان المسلمين» قبالة مستوطنة بيت هداسا - الا ان المستوطنين لحقوا به فهرب جريا منهم فاعترضه جندي بالسلك الشائك الحديدي فوقع على الارض وداس ابناء المستوطنين على وجهه في الشارع بأقدامهم مما ادى الى اصابته على هذه الشاكلة.

وقال والد الطفل والدته اللذان يرافقانه في المستشفى ان هذا الحادث الذي تعرض له طفلهما ليس الاول من نوعه فالاسرة بكاملها تتعرض يوميا لمضايقات المستوطنين واقتحام الجنود المستمر لمنزلهم في كل صغيرة وكبيرة وازعاجهم.

اما المواطن سلمان محمد ابو عبيد وعمره (٥٥) سنة لقد التقينا به يرقد في قسم الجراحة الرجالية واخبرنا قائلا انه رجل مريض وكان في طريقه ساعة وقوع الحادث الى الطبيب في باب الزاوية وسط المدينة لتلقي العلاج، الا انه اصيب برصاص جندي اسرائيلي وجه السلاح نحوه فأصابه في يده اليسرى فوقع على الارض لا يدري ما يدور حوله.

اما المواطن محمد علي توفيق القيمري وعمره (٣١) سنة واصابته خطيرة في البطن فقد روى بصعوبة انه سقط برصاص جندي عسكري داخل السوق كان برفقة عشرات الجنود العسكريين في بدلات بلون بيج فاتح، وقد اطلق الرصاص عليه متعمدا بعد ان توقفت عملية اطلاق الرصاص من قبل الجندي الاسرائيلي الذي اصاب غيره - ولكنه لم يره لانه في داخل السوق بل شاهد العشرات من الجنود يقتحمون المحلات التجارية وينكلون بالمواطنين وقام احدهم باطلاق الرصاص مما ادى الى اصابته.

اما المصاب عبد اللطيف ابو ميالة - واصابته في الرأس فقال انه قام باسعاف المصابين بعد ان سقطوا على الارض الا ان الجنود ضربوه بأعقاب البنادق على رأسه ومنعوه من استكمال مهمته، وانه قد اصيب بالضرب المتعمد.

وقال مرافقو المصاب خلف محمود محمد أبو حديد وعمره (٤٨) سنة انه صاحب محل في السهلة، موقع الحادث، وان الجنود هجموا عليه في محله التجاري وضربوه على رأسه بالبنادق حتى سقط على الارض وهو ما زال فاقد الوعي يرقد في المستشفى.

اما السيدة فوزية الاطرش وهي ام للمصابين اكرم وعبد الكريم فكانت تقف بين ابنيها تصرخ وتهذي لهول الصدمة، وتندب الحدث وتقول انه لا يعقل ان تخسر ابنيها مرة واحدة بسبب تهور وجنون الجنود والمستوطنين والحكومة الاسرائيلية التي تقف خلفهم تحمي ارهابهم وتطرفهم.

وتساءلت: ماذا يريدون منا ان نفعل؟ وكيف نتصرف ازاء ما يجري وما نتعرض له من احداث مأساوية؟ وقالت ان ابنيها صاحبا بسطة خضار يعيلان بها عشرات الاخوة «ولا يمكن السكوت عن ذلك فلا سلام مع هؤلاء المجانين وبقائهم بيننا - فنحن لا نريد ان نرى في مدينتنا جنودا ولا مستوطنين».

● ردود فعل ●

وعقب رئيس بلدية الخليل المهندس مصطفى عبد النبي النتشة على الحادث بقوله، انه كان يتوقع حدوثه منذ فترة، نتيجة لهذا الكم من المستوطنين الذين يأتون الى مدينة الخليل للتضامن مع المستوطنين وهم مدججون بالاسلحة والجيش الاسرائيلي يتعاطف معهم ويحميهم.

وقال علينا ان نأخذ العبرة من هذا الحادث ونطالب بدوريات مشتركة فلسطينية اسرائيلية في منطقة «هـ ٢» حيث يعيش ٣٠ الف مواطن بوجود جيش اسرائيلي ومستوطنين مدججين بالسلاح، مشيرا الى انه ابلغ وزير «الامن» الاسرائيلي يتسحاق مردخاي بذلك لدى لقائه المنعقد معه في مقر الادارة المدنية في اعقاب الحادث.

اما الوزير في السلطة الوطنية الدكتور عبد الحفيظ الاشهب فقد اكد في حديثه معنا على اخراج المستوطنين من قلب مدينة الخليل مؤكدا استحالة التعايش السلمي في ظل وجود مجموعة من المتطرفين الارهابيين وسط مئات الالاف من المواطنين الفلسطينيين مؤكدا على خطر وقوع مجازر تكون اشد ضراوة اذا لم يتم جلاء هؤلاء المستوطنين من قلب المدينة.

وهكذا يبقى احتمال وقوع الكارثة الكبرى في قلب مدينة الخليل قائما اذا لم يتم جلاء المستوطنين المتطرفين من قلب المدينة والذين بحوزتهم (٨٤٢) قطعة سلاح عسكرية، اضافة الى عشرات البنادق التي يحملها طلاب المدرسة الدينية اليهودية «الدبويا» والذين قاموا بشراء اسلحة وقنابل من اوساط جنائية اسرائيلية بـ (١٥) الف دولار حسب المعطيات التي اشارت اليها وزارة الداخلية الاسرائيلية!



* الطفل ثائر الشرباتي (٧ سنوات) الذي تعرض لاعتداءات المستوطنين *

طفل فلسطيني (٧ سنوات) هرب من الرصاص، طارده المستوطنون، اعترضه الجنود واوقعوه على الارض، فداس ابناء المستوطنين على وجهه واصابوه بجروح بالغة!



* صبيان فلسطينيان جريحان في احد مستشفيات الخليل، بعد ارتكاب الجريمة البشعة *

بعد الحادث الاجرامي اعلن عن حظر التجول في الخليل، وانتشر الاف جنود الاحتلال في الاحياء العربية، بينما احتفل المستوطنون بالجريمة!

عصام مخول، العائد من المؤتمر الـ ٢٩ للحزب:

الحزب الشيوعي الفرنسي

.. الى مرحلة جديدة!

□□ «يطرخ عولمة من نوع جديد: الى جانب ارباح رؤوس الاموال يجب ضمان ارباح الجماهير الشعبية في كل مكان، ايضا، وخلق قاعدة للحوار بين الثقافات والتعاون للانتصار على المآسي الاجتماعية والعمل على ازالة خطر السلاح النووي».

□□ «لا يجب الانعزال عن المجتمع الفرنسي بل الاندماج فيه، للتحول من قوة ضاغطة الى قوة قائدة لاجراء التغيير الذي تحتاجه فرنسا واوروبا بشكل أوسع».

□□ «التخلي عن مقولة الصراع الطبقي بمعناها العدائي وايجاد السبل الى تحالفات على اساس برامج حد أدنى. وان تكون قضية الفرد في المحور بدل الطبقة والجماعة».

* أجرى اللقاء: وليد ياسين *

● شارك عضو مكتب اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الاسرائيلي وسكرتير منطقة حيفا للحزب، عصام مخول، في المؤتمر الـ - ٢٩ للحزب الشيوعي الفرنسي، الذي انعقد في العاصمة باريس بين ١٧ و٢٢/١٢/١٩٩٦.

وعاد مخول الى البلاد يحمل الكثير من الانطباعات حول المؤتمر ونضال الحزب الشيوعي الفرنسي «الذي يعتبر مفخرة للحركة الشيوعية ونضالها الجماهيري».

وفي اللقاء التالي يستعرض مخول ابرز القضايا التي عالجها المؤتمر والتحولات الهامة التي اجراها الحزب الشيوعي الفرنسي على صعيد نضاله وتوجهه الى المجتمع.

في رد على سؤالنا حول الانطباعات التي خرج بها من المؤتمر قال مخول:

«اعتقد ان مؤتمر الحزب الشيوعي الفرنسي يعتبر نقطة تحول في دور وعمل الحزب ونضاله. وقد يكون له تأثيره على تعامل الاحزاب الشيوعية، في اماكن مختلفة من العالم، مع الواقع الجديد الذي تشهده نهاية القرن العشرين، وتعامل الاحزاب الشيوعية مع الواقع في سنوات القرن القادم.

مؤتمر الحزب الشيوعي الفرنسي تعامل في صلب اعماله مع قضايا المجتمع الفرنسي ومواجهة الأزمات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي يواجهها. وعلى نفس المدى الذي تمحور المؤتمر حول الوضع الاوروبي وآفاق التحول في اوروبا الغربية ودول مجلس التعاون الاوروبي، وابعاد اتفاق «ماستريخ»، وفي صلب هذا قضية العولمة. وفي الوقت نفسه شكل المؤتمر تظاهرة دولية للاحزاب الشيوعية وحركات التحرر القومي وجبهات القوى اليسارية والتقدمية، والتقاء لشخصيات بارزة داخل اليسار على المستوى العالمي. فقد شارك في المؤتمر أكثر من (١٤٠) وفدا جاؤوا من أكثر من (١٠٠) دولة من مختلف القارات، ووجدت قضية التعددية في التضامن بين كافة القوى التقدمية واليسارية وقوى السلام في العالم، تعبيرها في هذا الحشد الكبير».

[illegible]

- مخول: «اولا من خلال تجاوب كل هذه التنظيمات مع الدعوة التي وجهت اليها للمشاركة في مؤتمر الحزب الشيوعي الفرنسي، الذي يقيم علاقات من التعاون والتضامن والدعم مع كل واحدة من هذه التنظيمات. وجرى التركيز على المناطق والقوى والتنظيمات التي تقوم بدورها الهام لخلق مستقبل أكثر عدالة وتقدمها في العالم، وخاصة في المناطق الحساسة وبين القوى ذات التاريخ النضالي الطويل. واحب ان اشير الى ان المؤتمر خص عددا من الوفود المشاركة بحفاوة بالغة خلال الجلسة التي تمحورت حول الوضع الدولي، ومنها وفود المؤتمر الوطني الافريقي، الحزب الشيوعي في جنوب افريقيا، النساء الدمقراطيات الجزائريات، السلطة الفلسطينية وحزب الشعب الفلسطيني، النساء التشيليات، كوبا والحزب الشيوعي الاسرائيلي، الذي حظي بالتقدير الكبير للدور الشجاع والمتواصل الذي يقوم به الشيوعيون اليهود والعرب في اسرائيل، في طليعة القوى المناضلة لتحقيق السلام العادل في المنطقة.

* عصام مخول (من اليمين) في لقاء مع وفود من الاحزاب المشاركة في المؤتمر *

* قاعة المؤتمر *

وتم في هذا اللقاء التركيز بشكل كبير على قضية السلام في الشرق الاوسط وموقف الحزب الشيوعي الفرنسي وتضامنه مع الشعب الفلسطيني وقضيته العادلة والتحذير من الوضع المتفجر في الشرق الاوسط نتيجة سياسة اليمين الاسرائيلي. واعلن الحزب الشيوعي الفرنسي دعمه لكل المدافعين عن العملية السلمية في الشرق الاوسط. وبرز ذلك في الكلمة المطولة التي القاها مسؤول العلاقات الخارجية في الحزب، الرفيق فرانسيس وارتز، الذي أكد ان الحزب الشيوعي الفرنسي «لا يفصل تضامنه مع الشعب الفلسطيني عن تضامنه مع قوى السلام في اسرائيل». وأكد تقدير الشيوعيين الفرنسيين لدعوتهم الى القاء كلمة في اللقاء الاول وغير المسبوق، الذي تم بين برلمانيين فلسطينيين واسرائيليين في الكنيست، والذي بادرت اليه كتلة الجبهة والتجمع، وقال: «ان سباقا مع الوقت يجري ليس بين الاسرائيليين والفلسطينيين فقط، ولكن بين انصار العملية السلمية واعدائها».

* «الاتحاد» [illegible] الجلسة [illegible] الدولية [illegible]

- مخول: «ليس مؤكدا ان الأمر كذلك. فقد تساءلنا بعد كلمة السكرتير العام للحزب الشيوعي الفرنسي الرفيق روبير إي، لماذا لم يتطرق الى القضايا الدولية خارج فرنسا واوروبا. فأبلغونا ان هذه القضايا وقضية التضامن والتعاون والموقف منها ستأتي في جلسة خاصة. قد يكون الشكل مختلفا، لكنه تم في هذه الجلسة تأكيد دور الحزب الشيوعي الفرنسي في التضامن مع حركات التحرر ومع النضال التقدمي واليساري في مختلف انحاء العالم».

* «الاتحاد» - أشرت الى تركيز المؤتمر على قضية العولمة، ماهو المقصود بذلك؟

- مخول: «العولمة هي تجاوز العلاقات الاقتصادية ورأس المال للحدود القومية، هذا الدور الذي تقوم به الشركات ورؤوس الاموال متعددة القومية في الاستثمار حيث يمكن الربح. وهي الاسلوب الحديث لسيطرة رؤوس الاموال على الثروات والارباح والتحكم بالاقتصاد العالمي. هذا ينعكس بانتشار فروع لمختلف الشركات، متعددة القوميات، في كل مكان يمكن جني الارباح منه، والتحكم بمصائر الأنظمة والشعوب والدول.

وبرأيي ان الحزب الشيوعي الفرنسي، كجزء من تعامله الجديد وبناء الصيغ الجديدة للمعادلات الاجتماعية والسياسية، طرح موقفا جديدا لا ينطلق من مقاومة العولمة او التنكر لوجودها، وانما يطرح عولمة من نوع آخر، تأخذ بالحسبان ليس فقط ضمان ارباح رؤوس الاموال وانما مصلحة وضمان ارباح الجماهير الشعبية في كل مكان.

مثلا، ليس التصدي لممارسة هذه العولمة على مستوى الاستثمار المالي فقط وانما المطالبة في استثماره في الانتاج لضمان انشاء اماكن عمل جديدة.

هناك طرح في الحزب الشيوعي الفرنسي يقول انه بامكان العولمة، بدلا ان تقود فقط الى ارباح اصحاب رؤوس الاموال، ان تأخذ مضمون حوار بين الثقافات، وان تكون قاعدة للتعاون لخلق فرص جديدة للانتصار على المآسي الاجتماعية، كالمخدرات ومشكلة فقدان اماكن السكن، ويمكن ان تأخذ تعبيرها في المعركة لازالة خطر السلاح النووي. وهذه نظرة جديدة تحاول ان تعطي، وكما عرف ذلك السكرتير العام للحزب الشيوعي الفرنسي بقوله ان الحزب استطاع في الماضي ويستطيع ان يعطي اليوم، في ظل الظروف الصعبة، اجوبة للاسئلة الصعبة التي تفرض نفسها.

ما طرحه الحزب الشيوعي الفرنسي بشكل عام في هذه القضية يقول ان هذا الحزب لن يقبل بأن يبقى قوة ضاغطة في المجتمع، وانما يحاول أن يكون قوة قائدة للتحول الذي تحتاجه فرنسا واوروبا بشكل اوسع، كي تعيش شعوبها بشكل افضل وبشكل اعدل وتقدمي واشتراكي. ويؤكد الحزب الشيوعي الفرنسي ان القيام بهذا الدور لا يمكن ان يتم من خلال الانعزال عن المجتمع الفرنسي واقامة منطقة عازلة للقوى الاشتراكية الطاهرة، وانما من خلال الاندماج في المجتمع، كي ننجح في تحويل فرنسا. قال السكرتير العام للحزب، يجب ان ننجح في المهمة الاولى، هي تحويل الحزب والانتقال به الى مرحلة جديدة. هذا هو لب السؤال الذي طرح على مؤتمر الحزب الشيوعي الفرنسي».

[illegible]

- مخول: «قبل الدخول الى ذلك، يجب الاشارة الى عدة قضايا جوهرية طرحها الحزب في مؤتمره. فقد وضع في محور تحليله قضية الفرد، التي لم يعرها الحزب في السابق الاهتمام الكافي، حيث لم يكن الفرد هو المنطلق لبحث القضايا، وانما كانت الطبقة والجماعة. ووصل الحزب الى نتيجة تقول انه كي نحول المجتمع الفرنسي، يجب الانتباه اولا الى القضايا التي يعاني منها الفرد.

القضية الثانية هي قضية المواطنة، التي يعتبر الحزب انه لم يعرها هو ابضا الاهتمام الكافي. كانوا يرون ان هذه القضية لا تتناسب مع قضية الطرح الطبقي. والآن هناك قضية المواطنة وتحريك المواطن للاضطلاع بدوره كمواطن في الدولة، لخوض المعركة على حقوقه المدنية التي تمنحه اياها المواطنة. وبهذا المعنى يحاول رفاقنا الفرنسيون ايجاد طريقهم الى اعضاء المجتمع الفرنسي وتجنيد الطاقات المتضررة من الوضع القائم في المجتمع، على مستوى الافراد وعلى مستوى المواطنين والمجتمع ككل. هناك

الحزب لم يعدّ رؤوس اقلام المؤتمر، مسبقا، وانما طلب من القاعدة الحزبية تحديد الاسئلة. وجمعت الفروع المختلفة آلاف الاسئلة على مدار عام كامل، تمت صياغة (٢٠٠) قضية جوهرية منها ثم (٥) قضايا اساسية يجب الاجابة عليها

أكثر من (١٤٠٠) مندوب و(٢٠٠) ضيف وطاقم العاملين في قاعة رحبة لم تكن فيها منصة خطباء. بل اقيمت حلقات على شكل مربعات متداخلة، وكل واحد يشارك في النقاش من مكانه ويراه ويسمعه الجميع عبر شاشات البث الداخلي.

* المؤتمر يستمع الى كلمة سكرتير عام الحزب، روبير اي *

قضية اخرى

برزت في هذا المؤتمر، هي تخلي الحزب عن مقولة الصراع الطبقي بمعناه العدائي، بمعنى ان استعمال هذه المقولة لا تعني انهم لا يحللون تحليلا طبقيا، وانما، حسب رأيهم، فان وضع الأمور في اطار صراع ومواجهة بين الطبقات ليس في صالح استنفاذ امكانيات التحالف بين قوى مختلفة، متضررة من الوضع القائم، في مواجهة تبعات العولمة وتبعات سيطرة رأس المال والمآسي التي يعاني منها المجتمع الفرنسي. لذلك طرح السؤال حول السبل لايجاد الطريق الى تحالفات على أساس برامج حد أدنى، بين قوى المعسكر التقدمي، المتضرر موضوعيا من النظام السياسي القائم في فرنسا.

قضية جوهرية وفكرية اخرى ناقشها مؤتمر الحزب الشيوعي الفرنسي هي تخليه عن استعمال مقولة القضاء على المجتمع الرأسمالي واستبدالها بمقولة تجاوز المجتمع الرأسمالي الى مجتمع تقدمي واشتراكي يأخذ بالحسبان الجمهور الواسع.

في هذا السياق حللت قضية دور الحزب الشيوعي الفرنسي في قيادة وتوجيه الاضراب العام، الذي شهدته فرنسا مؤخرا، ولذي انتصر في كثير من مطالبه. وكذلك الأمر في الاضراب الذي سبقه. وأكد الحزب انه لم يكن من المفروغ منه ان النقابات ستتحد بهذا الشكل وتجد الطريق للتعاون المشترك وبالتالي تجد التجاوب الكبير من العمال في كافة القطاعات.

قضية اخرى تركزت حول البحث عن اجوبة بخصوص الأزمات البنيوية في المجتمع الفرنسي، كقضية البطالة. نقطة الانطلاق كانت انه يجب ان لا يعاني المجتمع من البطالة، وان هناك مغالطة كبيرة في القول، او الفرض بأن البطالة هي أمر مفروغ منه.

فخلال المؤتمر طرح برنامج واسع يشرح في طرق التصدي لظاهرة البطالة.. ومن بنوده مثلا، توفير (٥٠) مليار دولار، تستغل اليوم لبرمجة سباق التسلح النووي، وتوظيفها في ظل تطورات الوضع الدولي الجديد، لتوفير اماكن عمل جديدة، كانشاء تعاونيات جديدة مثلا، ودمقرطة الجهاز البنكي، والتعاون على مستوى اوروبي ودولي لخلق مشاريع عمل جديدة، وبالذات في قضايا الحفاظ على البيئة، ومقاومة التصدي لظاهرة المخدرات، التي لا يعتبرها الحزب قضية فرد وانما قضية مجتمع ككل».

* «الاتحاد» [illegible]

- مخول: «الحزب الشيوعي الفرنسي هو حزب معتبر وذو تأثير. والتقديرات تقول انه القوة القادرة على الحسم في انتخابات ١٩٩٨.

هناك اشكال من تجربة الحزب الشيوعي الفرنسي في تعامله مع الحزب الاشتراكي الفرنسي ودخوله في تحالف معه. صحيح انه كان هناك وزراء من الحزب الشيوعي الفرنسي، ولكن سياسة الحكومة الاشتراكية، التي استغلت وجود الحزب الشيوعي كغطاء، كانت سياسة يمينية. والآن يشترط الحزب الشيوعي الفرنسي موقعه وتأثيره في السياسة التي ينتهجها الحزب الاشتراكي وغيره من القوى.

هناك قوى تدعو الى اقامة قطب يساري، يضم يسار الحزب الاشتراكي والحزب الشيوعي الفرنسي.

المؤتمر رفض اعطاء اجوبة محددة على هذه القضايا ولكنه اعطى اتجاها لمناقشتها. هناك انعكاس لما يقوله الحزب الشيوعي الفرنسي، في وسائل الاعلام والرأي العام في فرنسا، ايجابا وسلبا، وهذا يتوقف على موقف القوى التي تتعامل مع الموضوع.

مؤتمر الحزب الشيوعي الفرنسي لقي تغطية واسعة في وسائل الاعلام الفرنسية. وكان هناك تحريض، أشد من الماضي في بعض اللحظات، في محاولة للمواجهة مع هذه الهجمة الايجابية على المجتمع الفرنسي لأخذ دوره ولاقناع المجتمع الفرنسي بحاجته الى دور الحزب الشيوعي الفرنسي.

الأمر الواضح ان قطاعات واسعة من الشعب الفرنسي قادرة على ايجاد طريقها الى الحزب الشيوعي، وأكثر الى سياسته. وباعتقادي فان اسلوب عقد المؤتمر الـ - ٢٩ للحزب، بابحاثه ونقاشاته حول قضايا آمنة تشغل بال الفرنسيين، والتي حاول المؤتمر بنجاح، تقديم الأجوبة لها، سيفتح امامه ابوابا واسعة للتأثير على المجتمع الفرنسي».

* «الاتحاد» - هل كانت هناك امور خاصة لفتت اهتمامك في اسلوب عقد المؤتمر واعماله؟

- مخول: «هناك عدة قضايا هامة ميزت المؤتمر الـ ٢٩ عن المؤتمرات السابقة. ففي حين كانت المؤتمرات السابقة تعقد في المدن القريبة من باريس، تقرر ان يعقد هذا المؤتمر في العاصمة نفسها في منطقة تعج بالصناعات وتعتبر مركزا لحياة رجال الأعمال.

وحسب رأي رفاقنا في الحزب الشيوعي الفرنسي فان قرارهم بعقد المؤتمر في هذا الموقع بالذات هو قرار سياسي وهو اشارة واضحة الى وجهة الحزب نحو التأثير على الحياة

(البقية ص١٦)

الاضراب الكبير!

● خلال الاضراب الذي شلّ مرافق كثيرة في الدولة، تساءل رئيس الحكومة وارباب العمل بديماغوغية: لماذا الاضراب؟! - فهل هم ساذجون الى هذه الدرجة؟ ام هكذا نصحهم مستشاروهم الاعلاميون؟! ألا يكفي فرض «ضريبة التضخم المالي» التي تعني الغاء علاوة الغلاء للاجيرين والمتقاعدين، وفرض رسوم على الخدمات الطبية للفئات الضعيفة (مقابل اعفاء اصحاب المداخيل العالية من بعض الضرائب!) والهجوم على اتفاقيات العمل الجماعية والغاؤها وفصل العمال بسياسة الخصخصة وتضييق الخناق على العمال وحقوقهم، وفوق كل ذلك سلب حقهم في الاحتجاج والاضراب بموجب قرارات المحكمة.. ألا يكفي كل ذلك لاعلان الاضراب؟! ●

● الاضراب الكبير الذي قام به جمهور العاملين، هذا الاسبوع، بقيادة الهستدروت، بالامكان اعتباره احد المعالم الهامة، من معالم علاقات العمل في البلاد، ويمكن تتويجه، كأهم حدث في العام ١٩٩٦ في هذا المجال، ومحطة هامة ايضا من محطات الصراع الطبقي القائم في المجتمع الاسرائيلي. كيف لا، ونحن نعرف ان فجوة الفوارق بين الاغنياء والفقراء، تزداد سعتها باستمرار. والامر نفسه يسري على الاجيرين، من اصحاب المداخيل الشهرية التي تتآكل باستمرار. ورغم ذلك يتعرض هذا الجمهور وقيادته النقابية، الى هجوم متواصل من قبل ارباب العمل وممثلهم/الحكومة، وبعد كل ارتجاج وارتباك للاقتصاد الاسرائيلي يدفع جمهور العاملين الثمن على مختلف قطاعاتهم، بينما يتواصل دعم ارباب العمل وكبار الاغنياء. وعندما قررت الحكومة اجراء تقليصات في الميزانية، كان الهجوم على حقوق العاملين، بواسطة فرض مختلف الضرائب المباشرة وغير المباشرة عليهم، ولم يقف الامر عند هذا الحد، بل تخطاه الى الغاء اتفاقيات العمل الجماعية، الامر الذي يعني هدم كل المبنى التنظيمي لعلاقات العمل ولاتفاقيات العمل، واعادة العبودية من جديد.

● لماذا الاضراب؟! ●

منذ نشوب الاضراب الجزئي يوم الخميس من الاسبوع الماضي، يحاول رئيس الحكومة وارباب العمل خلق جو من البلبلة، والارهاب ضد العاملين والهستدروت، وكانت الطلقة الاولى منهم، شعار «ولا نعرف لماذا هذا الاضراب؟» و«الاضراب هو اضراب سياسي»، ونحن نتساءل: هل اصيب نتنياهو ورهطه بالسذاجة السياسية يا ترى؟! طبعا لا، فالجميع يعلم بأنه يقوم باعتماد الاستشارة الاعلامية من كبار الاخصائيين في هذا المجال، وافضل وسيلة لضرب الهستدروت والعاملين، هي ايجاد ارتباك في صفوف الجمهور، واطلاق قنابل الدخان الاعلامي من اجل التعتيم على حقيقة البرنامج الاقتصادي للحكومة، ومدى عمق تآمرها من اجل حماية مصالح اصحاب الرساميل.

وقبل ان ندخل في تحديد بنود اسباب الاضراب لا بد ان نشير الى نقطة هامة في الميزانية الحكومية للعام القادم، وهي تمس بجميع العاملين على مختلف مستويات اجورهم، الا وهي قضية فرض ضريبة غريبة عجيبة، وضريبة التضخم المالي»، وهذا البند يعني محو علاوة الغلاء التي يحصل عليها الاجيرون والمتقاعدون. بكلمات اخرى تآكل قيمة اجورهم وانخفاض القوة الشرائية لها. أفليس هذا البند كافيا لاعلان الاضراب؟

لكن الموضوع لم يقف عند هذا الحد، وتباكي الحكومة لوجود عجز مالي في الميزانية، وانه لا بد من سد، وموازنة الميزانية، ما هو الا دموع التماسيح، وبدلا من رفع نسبة الضريبة على اصحاب المداخيل العالية جدا، والذين يأكلون منتظم كعكة الدخل القومي، قامت باعفائهم من الضريبة الموازية (מס מקביל) ويبلغ تصل الى اكثر من (٩) مليارات شيكل في السنة، وفرض رسوم على الخدمات الطبية للفئات الضعيفة! ويتساءل رئيس الحكومة: لماذا الاضراب؟!

وكانت الاسباب المباشرة التي دفعت للاضراب بالاضافة الى ما ذكرناه اعلاه، هي:

● تغيير السلم الضرائبي للاجيرين، اي زيادة نسبة الضرائب المدفوعة من قبلهم ● الغاء نصف نقطة التزكية للمرأة العاملة ● الغاء اعفاءات ضرائبية مختلفة لخدمات الموانئ (المستفيد ارباب العمل وكبار التجار، والنتيجة فصل عمال) ومحاولة المس بشروط التقاعد ● الغاء اتفاقيات العمل الجماعية من ارباب العمل، ومحاولات متواصلة، لاجراء تعديلات فيها تسيء للعمال ● سياسة الخصخصة التي تعني فصل العمال ● محاولات توسيع دائرة الاتفاقيات الخاصة ● برنامج حكومي لضرب حقوق العاملين في المكاتب الحكومية وفي مؤسسات تابعة لها.

وادخال القضاء في الموضوع، في محاولة لتغيير ماهية علاقات العمل وفرض اوامر من قبل طرف واحد، أضيف لاسباب الاضراب بند هام الا وهو من اجل الدفاع عن حرية التنظيم العمالي وحرية الاضراب والتظاهر، وهذا البند ألهب مشاعر العاملين في البلاد.

هذه هي الاسباب الاولية للاضراب، وبعد اصدار قرار المحكمة باعتقال رئيس قسم التنظيم المهني، شلومو شني، ومحاولات الحكومة وارباب العمل مصادرة الحق الطبيعي للانسان العامل بالاضراب والتظاهر، اي الغاء احدى الركائز الاساسية لحرية التنظيم النقابي

سلطة الموانئ - الحكومية، توجهت الى محكمة العمل اللوائية في تل ابيب، واستصدرت قرارا ضد رئيس قسم التنظيم المهني في الهستدروت شلومو شني بالاعتقال والمثول امام المحكمة، لاصدار أمر منه بالغاء الاضراب في الموانئ والقطارات. الهستدروت والنقابات العمالية ولجان العمال، رأت بهذا القرار محاولة لكسر الاضراب وتوجيه الاتهام الى شخص واحد، بينما من يتحمل المسؤولية هي الهستدروت كهيئة قيادية للعمال، وليس شخصا واحدا. ولدى تقسيم الطاقم القيادي للاضراب في الهستدروت، اتخذ قرار ضد هذا التوجه وصدر بيان شديد اللهجة، يدين توجه الحكومة، كمسؤول مباشر عن ادارة الموانئ الى القضاء، لسلب الحق الاساسي للعامل بالاضراب والتظاهر، واعتبر مثل هذا القرار تدهورا في علاقات العمل، ومحاولة لالغاء الاسس القائمة والاتفاقيات بالتفاوض والالتزام بتطبيقها. وباشر رئيس الحكومة نتنياهو والوزير مريدور بحملة اعلامية ديماغوغية ضد الهستدروت والعمال، وبدأ التهديد باصدار اوامر عمل الزامية، وحتى ادخال الجيش الى اماكن العمل، وقال رئيس الحكومة في تصريح له موجه للعمال: «الدولة ليست لكم»، «ولن نرضخ.. ولن نتفاوض الا بالغاء الاضراب»، واتهم الهستدروت بأنها تنتهك القانون وان «الاضراب هو اضراب غير قانوني»، والاسوأ من ذلك ان «الاضراب هو اضراب سياسي»، وحاول هو ووزير المالية مريدور القضاء على معنويات العاملين، وقاما بتوجيه تهديد مباشر للموظفين في المكاتب الحكومية، محاولين كسر الاضراب.

واستنجد نتنياهو بكبار الصناعيين واصحاب الرساميل، ودعاهم الى اجتماع طارئ لتنسيق المواقف، والحصول على دعم من هؤلاء الاباطرة، وتم الاجتماع على مائدة مليئة بـ «الكاليار» والنبيذ، وزادت شهية المتخمين، وقال نتنياهو: علينا التكاتف ضد هذا الاضراب السياسي، فهو اضراب بدون سبب وهل يعلم احد لماذا هذا الاضراب؟! ووجد الدعم والنجدة من ربيب الهستدروت سابقا، ولن تحول الى مدير اكبر مجمع اقتصادي، بيني غاؤون، الذي قال: «ايضا لي هذا الاضراب غير مفهوم، هذا انتهاك واهانة للقانون، ونحن كقطاع تشغيلي نقف الى جانب الحكومة»، وصدرت التصريحات المهاجمة للهستدروت والعاملين عن باقي الرهط من كبار ارباب العمل، وتواصل اكل الـ «كافيار» واحتساء النبيذ الفاخر، وهدد رئيس الحكومة باصدار الاوامر الالزامية، وعاد وقال: «هذا اضراب لا اساس له، وغير منطقي ومن اجل فرض القوة على علاقات العمل، حضرت الى هنا للتشاور ولتشكيل جبهة موحدة وقوية ضد الهستدروت والاضراب».

(البقية ص١٦)

● مظاهرة عمالية - هل تعلمت الحكومة درسا من الاضراب ●

■ سلمان ناطور ■

التعددية الثقافية، حاجة عربية ام اسرائيلية؟

* نشر فكرة التعددية الثقافية هو الذي سيبدد فكرة الهيمنة الثقافية التي يروجها الاسرائيليون *

● في جامعة حيفا عقد في يومي ١٨ و١٩/١٢/٩٦ مؤتمر تحت عنوان «التربية للتعددية الثقافية في عصر متغير» شاركت في اعداده ثلاث حيثيات اكاديمية هي مركز دراسات وتطوير التعليم العربي في اسرائيل وفوروم تطوير مشاريع في مواضيع السلام والتعايش والمركز اليهودي العربي، معهد دراسات الشرق الاوسط، وقد تم بمبادرة وتركيز البروفيسور ماجد الحاج، وحضره ضيوف من المانيا وتركيا والاردن وفلسطين وتحدث عدد كبير من المحاضرين بينهم البروفيسور ابراهيم ابو لغد.

كنت آخر المتحدثين في هذا المؤتمر وفي العادة، عندما تلقي المحاضرة الختامية فلا تستطيع تجاهل ابرز القضايا التي طرحت في المحاضرات التي سبقت، وقد لفت الانتباه ان المحاضرين الاسرائيليين تحدثوا بحماس عن التعددية الثقافية في المجتمع الاسرائيلي وهو امر لم يكن يحصل في السنوات الماضية، ولا اعرف اذا كانت جامعة اسرائيلية تكرس مؤتمرا تحت هذا العنوان قبل عشر سنوات. فما الذي تبدل؟

في الماضي القريب كنا نحن الفلسطينيين، الاقلية القومية التي تعيش في اسرائيل نطرح هذه المسألة على المجتمع الاسرائيلي لكي تمنحنا «التعددية الثقافية» شرعية الوجود والحركة والفعل في المجتمع الاسرائيلي، دون ان نذوب في هذا المجتمع او نفقد الهوية. كانت التعددية الثقافية حاجتنا الحضارية لاستمرارية الوجود ولكن في السنوات الاخيرة وبعد بدء عملية السلام اصبحت التعددية الثقافية حاجة اسرائيلية، لان المجتمع الاسرائيلي يبحث عن شرعية الوجود والحركة والفعل في الشرق الاوسط وبين المجتمعات العربية.

ان نشر فكرة التعددية الثقافية هو الذي سيبدد فكرة الهيمنة الثقافية التي يحاول ترويجها الاسرائيليون من ذوي الاتجاهات الكولونيالية والذين يؤمنون بتفوق الثقافة الاسرائيلية اليهودية بسبب جذورها التاريخية وطابعها الغربي وتقاليدها الاوروبية.

اذا كانت اسرائيل تطمح الى البقاء في الشرق الاوسط، وفي ظل سلام شامل وحدود مفتوحة فما عليها الا ان تتحرر من اسر الفكر الكولونيالي الذي سيطر على قادتها السياسيين والعسكريين وعلى منظريها الثقافيين وخاصة علماء الاجتماع الذين رأوا في هذا «التفوق» عاملا لتوحيد كافة فئات وطوائف المجتمع الاسرائيلي اليهودية.

هناك اهمية كبيرة لمثل هذه المؤتمرات لانها تطرح المسائل الثقافية الملحة والاكثر خطورة في هذه المرحلة الحرجة والصعبة من تاريخ الشرق الاوسط، وهي تفتح قنوات الحوار الثقافي الاسرائيلي العربي لان هذا المسار في نهاية الامر هو الذي سيحدد شكل العلاقات الاسرائيلية العربية وقد سمعت ذلك من بعض الاكاديميين الاسرائيليين، في اعقاب المحاضرة والذين عبّروا عن رغبة شديدة في مواصلة النقاش والحوار مع زملائهم الاكاديميين العرب هنا وفي العالم العربي.

كيف يمكن نشر فكرة التعددية الثقافية على المستويين الاسرائيلي والعربي؟ اعتقد ان هناك ثلاث معضلات اساسية يجب حلها لتوفير المناخ اللازم للتعددية الثقافية.

اولا: الهوية، يجب الاعتراف بحق كل مجموعة إثنية او قومية او طائفية بأن تعرّف نفسها كما تشاء، في اسرائيل او في الشرق الاوسط ولا يجوز املاء اي تعريف للهوية على اي شخص او مجموعة لان استقلالية الانتماء هي التي تضمن فسحة العطاء الثقافي والحضاري الذاتي من جهة وتؤمن الحركة والتفاعل مع عطاء الآخرين من جهة ثانية، والتعددية الثقافية في نهاية الامر هي مجمل عطاءات الافراد والجماعات في اجواء من الحرية والمساواة.

ثانيا: الرواية التاريخية والذاكرة الجماعية، لا يمكن نشر التعددية الثقافية في معزل عن التاريخ، فالثقافة لا تبدأ بحدث سياسي مهما كان عظيما وشاملا، وللشعوب ليست هناك بدايات محددة بعام وحتى قرن، فللشعب اليهودي كل الحق في نشر روايته التاريخية ولكن للشعب الفلسطيني ايضا كل الحق في نشر روايته التاريخية وتدوين ذاكرته ولا يمكن فرض رواية على الآخرين او تفضيلها على الاخرى. من الطبيعي ان تنشأ علاقات تصارع بين الروايات التاريخية وهذا جزء من ماهيتها، والحوار الثقافي الصريح يقوم على تصارع الروايات ليس بهدف الوصول الى التسوية، بل المعايشة القائمة على الشحن الحضاري المتبادل. في موضوع التربية، لا يمكن ان يستمر غياب الرواية التاريخية الفلسطينية من مناهج التعليم العربية وحتى العبرية.

ثالثا: تحديد العلاقة بين الفكر الديني والفكر العلماني، التعددية الثقافية لا يمكن ان تنتشر الا في المجتمع المدني الذي يتسع لكل التيارات الفكرية ويمنع هيمنة فكر ما على الآخرين، ومثلما ان المجتمع الاسرائيلي اليهودي يعاني من غياب التسامح الديني والعلماني ايضا، بسبب عدم رسم الحدود بين العالمين، فان المجتمع العربي في الشرق ايضا يعاني من مشكلة مماثلة. ولذا فان مطلب الساعة هو العمل على بناء مجتمعات شرق اوسطية مدنية، اي فصل الدين عن الدولة مع ضمان حرية كل فرد او جماعة في ممارسة عقيدتهم الدينية وطقوسهم دون الانتقاص من حق وحرية الآخرين، اي العلمانيين، في ممارسة حياتهم وفقا لرغبتهم.

التربية على التعددية الثقافية، هي تربية على الدمقراطية وحرية الفرد واستقلالية الجماعة وفي التالي على كرامة الانسان كانسان واذا نجح مؤتمر حيفا في طرح مجمل الاسئلة المتعلقة بمصير وكرامة الانسان في الشرق وفي المجتمع الاسرائيلي بشكل خاص، فيكون قد وضع حجر الزاوية لبناء المجتمع المدني الشرق اوسطي وشق الطريق لحوار ثقافي عميق وبعيد المدى.

■ يحيى يخلف ■

من الذي اطلق الرصاص؟

عام جديد..

ومع الساعات الاولى يفتح مستوطن في ثياب جندي اسرائيلي النار على ابناء الخليل الذين كانوا ينتظرون اخبار بزوغ فجر جديد على مدينتهم.

بالامس مستوطن يدعى (غولدشطاين)، واليوم جندي من سكان معاليه ادوميم.. ومهما يكن من امر، فالمسألة لا تتعلق بشخص بعينه، ليس المهم من يقف على خشبة المسرح، المهم هو الملقن الذي يشحنه بالكلمات.

والسؤال الجدي الذي ينبغي ان نطرحه هو: من الذي اطلق الرصاص؟

في الحقيقة ان مطلق الرصاص الفعلي هو الفكر الصهيوني المتطرف، الفكر الاستيطاني المجرد من اي بعد انساني.

مطلق الرصاص هو الخطاب التعبوي الصهيوني الذي الغى العقل، والغى التفكير، والغى الآخر، والغى قيم التسامح والرحمة التي جاءت بها السماء، واهدر دم الفلسطيني، وما زال يدعو الى مصادرة الاراضي، والاستيطان عن طريق القوة العسكرية، ويحول المستوطنات الى مزارع للحقد والكراهية.

مطلق الرصاص الحقيقي هو المنظّر السياسي الاسرائيلي الذي يستغل الخلل في موازين القوى ليفرض على الشعب الفلسطيني حالة حصار، فيمزق اوصال وطنه، ويسلّط عليه العقوبات الجماعية، ويجرد الاتفاقيات المرقعة من مضمونها، ويتلذذ في اطلاق التصريحات السادية الحقيرة.

مطلق الرصاص الحقيقي هو الحاخام الحاقد الذي اصدر فتوى للجنود الاسرائيليين يدعوهم فيها الى عدم التقيد بالاوامر اذا ما صدرت لهم التعليمات بتنفيذ اعادة الانتشار.

مطلق الرصاص هو العسكري المغامر الذي بنى شهرته على اكوام الانقاض والجثث والخراب والدخان، والذي فاته قطار العصر، وادركته الشيخوخة، فعاد يعزف على الدول القديم ليستعيد شهرة زائلة، وشبابا مضى من امثال شارون وايتان.

مطلق الرصاص الحقيقي ثقافة غيبية خرافية بناها لبنة لبنة، ومدماكا فوق مدماك عتاة المغامرين والغزاة من هرتسل الى جابوتنسكي، الى شمير، الى بيغن، الى بنيامين نتنياهو.. ثقافة متعجرفة، فوقية، تتنافى مع قيم العصر، وتتنافى مع كل انجازات الفكر الانساني.

عام جديد.. ومع الساعات الاولى اطلق مستوطن في ثياب جندي النار على الابرياء، كيف يمكن ان نتحدث بعد اليوم عن امكانية تعايش؟!!

الله وحده يعلم كم من الدماء ستسيل في الخليل وفي غيرها من مناطق الاستيطان خلال عام ٩٧.. هذا العام الذي كنا نتمنى ان يكون عاما مختلفا..

الدم الفلسطيني سيسفك مع حركة كل جرافة، ومع دق كل وتد، ومع اقتلاع كل شجرة، ومع اطلاق كل تصريح سادي لمسؤول اسرائيلي او حاخام عابث.

ان المستوطنات كانت وما زالت قنابل موقوتة كما تؤكد الاحداث كل يوم، وكما اكدت قرارات الشرعية الدولية، وكما اكد الرأي العام العالمي، وليس من سبيل الى وقف ما يجري الا بتفكيك هذه المستوطنات وازالتها. ومرة اخرى.. هلّ عام جديد.. ومنذ الساعات الاولى حدثت المجزرة.

سيقولون ان هذا الجندي معتوه، وربما يتم ايقافه لذر الرماد في العيون.. لكن، يتعين علينا مرة اخرى ان ندقق في الامر.. لا يهمنا اسم مطلق الرصاص، ومن يكون، لان مطلق الرصاص هو الاسم الحركي للتطرف الصهيوني وللثقافة والتعبئة الحاقدة، ولمعسكر اليمين الذي لم يتكيّف بعد مع متطلبات السلام العادل.

المستوطن الذي يلبس ثياب الجندي يجب ان ينال عقابه بالفعل، ولكن في الوقت نفسه يتعين ان يدخل قفص الاتهام ايضا اولئك الذين حقنوه، واوجدوا المناخ الملائم لجريمته البشعة.

■ محمد حمزة غنايم ■

كلمات.. لحساب العام الجديد؟

١٩٩٧؟

ترى ماذا تفعل «النفوس» هذه الايام؟

تتنفس رائحة البارود، ام تبرق في سمائها شموس الحقيقة الضائعة بلا اوان؟ ام ان مطر الشتاء المحتبس كان اعزّ من ان يغرز بها فتخصب، لبقيت على هذا الشكل، مهجّنة للذبح؟

ليس هنالك اسهل من ذبح الانسان في زماننا. اينما نظرت، يطالعك مشهد الذبح البشري. بشر ينحرون بشرا. وامم تتفجر. واشلاء اللحم البشري تتعلق على الاسلاك وجذوع الاشجار، وتسقط «زرافات آدميا» فوق البحار والمحيطات. وقبائل «تدخل» بأخرى، وتلبح اشعة الشمس السوداء على قرن افريقيا المريضة.

تطلع الشمس في شرق الكرة الارضية، وتغرب عن غربها، فتتسلى شعوب الشرق بهذه «الظاهرة الواعية»، كلما شهدت انحسار شمس اسرائيل (الغربية) عن بوابات اريحا (الشرقية)، وانفجار خاصرة العالم غيلة وقهرا، اشفاقا على تلفه من لهيب الحرية واللون المضاد.

ما كان كان.. تقول القصيدة العربية. فلماذا لا نتفاءل بالفرج، ونظل نُحيّد انفسنا جزءا من التاريخ الذي يرمّنا ويطوي علينا شفافه؟

نحن نتفاءل بالصبرا بل بخيل اتانا. نحن العرب، ضحية حتميتنا التاريخية الصابرة والمؤجلة باستمرار. ولعلنا ضحية نزعتنا الغريزية للوقوف في مجابهة التاريخ، والاقتناع بأن ما يحدث لنا هو وضع معاد لا بد ان ننتهي الى ما هو افضل منه - في اسوأ الاحوال...

بهذه الطريقة سعينا دائما الى تدجين الفكر في شرقنا «المتنور»، لعرينت لينا الاتكالية على «الاب» القادر على كل شيء... الذي بيده الحل والربط، والنهايات السعيدة، وكرنفالات الفرح والشوق الدفين، وبهجة الروح في منابت الحرية الصعبة والنادرة! أبد الدهر نظل نبحث عن بهجة الروح، وما دربنا ان زمان الفرج انطوى، وماء الحياة يجف في واحات العروبة النائية.

وحقا، الى اين سيؤول حالها، واحات العروبة النائية تلك، في بحر العام ١٩٩٧، هذا القادم من امامنا، يدهمنا بأمواجه العاتية، ويعصف بنا سبع موجات في قلب المحيط؟

قديما كان لنا سبع موجات في البحر.. وكان لنا وطن وشاطئ بعيد يحن اليه الغيّاب التائهون.

- واليوم؟

- اضعنا الموجة والشاطئ والبحر، وصارت «النفوس» تستعيد بهاءها حزنا مكررا، وانتحارا مطفأة على مفترقات الدروب الموصلة الى خارج التاريخ.

ومن زمان، خرج العرب من التاريخ!

عندما وقفوا يتفرجون على كاهنهم الحجري يدوّن احوال الناس العاديين في دفاتر النسيان والزيف، ويحولها الى ذكرى، ويحاصر المارد المخصي داخل قمقم الحضارة المريضة بالفجور والموت العنيد.

اصبح العرب، «يهود الصحراء»، يشهدون انبثاق «يهوشوع بن نون» من بطن الارض، يقتطع حجارة التاريخ ليعيد بناء اساطيره منها، يشق بطنها ويهيئ للمذبحة الجديدة سببا «انسانيا» جديدا، لا احد يمكنه ان يفهمه، سواه! انه شقاء «الانسانية» المصابة بانسانيتها.. وهزيمة «الخير» في وجه الشر، الذي يصنعه البشر، عادة، من ارواح واجساد العباد.

*

انهزم الزمان العربي امام فوضى الالوان والأزمنة المعفنة من الداخل..

(البقية على ص ١٠)

■ د. احمد سعد ■

من المسؤول عن الجريمة في الخليل وما هي الضمانة لحماية امن الفلسطينيين؟

□ فرد آخر من عصابة الارهاب الاستيطاني المنظم يرتكب جريمة دموية في وضح النهار ذهب ضحيتها سبعة من الجرحى الفلسطينيين الابرياء في مدينة الضحايا والصمود البطولي، مدينة الخليل المحتلة.

غولدشطاين آخر يحمل اسم نوعم فريدمان يأتي في سيارته حاملا السلاح وقاصدا الخليل متعمدا ارتكاب المجزرة وقتل اكبر عدد ممكن من الناس الابرياء بغض النظر اذا كانت الضحية شيخا او امرأة او صبيا، المهم انه عربي فلسطيني.

ولم يخف المجرم حقيقة ان هدف جريمته الدموية يندرج في اطار المساعي لافشال الاتفاق المزمع عقده حول الانسحاب من الخليل، وعرقلة التقدم في مسار العملية السلمية.

ان ارتكاب هذه الجريمة لم يكن حدثا فرديا طارئا قام به متطرف فاشي عنصري محقون بالكراهية العمياء للعرب وللسلام، فالمسؤولية لا تقع على منفذ الجريمة لوحده، بل بالاساس تقع على تلوس القوى الارهابية اليمينية المنظمة من بين المستوطنين التي تستمد العون والتأييد والتحريض المنهجي من قبل احزاب اليمين الاسرائيلي، والتي تعتبر امتدادا لها في المناطق المحتلة، من احزاب «موليدت» و«المفدال» و«تسومت» و«الليكود» ومن بعض وزرائها في حكومة نتنياهو اليمينية.

ومنذ ان اعلن في الاسبوع الماضي ان الطرفين، الاسرائيلي والفلسطيني على وشك توقيع اتفاق الانسحاب الاسرائيلي من الخليل بدأت قوى الاستيطان والمغامرة من احزاب ارض اسرائيل الكبرى، بتصعيد حدة التوتر والعربدة العدوانية في الخليل وخارجها. ولم تخف هذه القوى تهديداتها الدموية، وبأنها ستفجر براميل التوتر وتلجأ الى العنف بهدف افشال الاتفاق. ولم يتخلف العديد من وزراء الحكومة عن ركب التحريض واعلان المعارضة لتوقيع الاتفاق، مثل الوزير شارون ووزراء «المفدال» وغيرهم، فعلى مثل هذه الخلفية ومن قراعدها انطلق الفاشي فريدمان لتنفيذ جريمته.

ان الحكومة تدرك جيدا حقيقة وجود عصابات استيطانية مسلحة، لهذه العصابات تكونت وتنشط في كنف سلطة الاحتلال وبدعم منه.

والدم الفلسطيني، الامن الفلسطيني، ليس مباحا وتحت رحمة رصاص العصابات الفاشية العنصرية وافرع الاحتلال. وبدون توفير الامن للفلسطينيين فلا امل بالتقدم على ساحات العملية التفاوضية السلمية. وتوفير الامن للفلسطينيين ولانجاح التقدم في العملية السياسية يستدعي من حكومة اسرائيل، اذا كانت فعلا جادة في مواصلة العملية السياسية حتى التوصل الى التسوية السلمية الثابتة والعادلة، ان تجرد اولا وقبل كل شيء، عصابات الارهاب اليهودية في المناطق المحتلة من السلاح ووضع زعمائها في السجون. كما يستدعي الاسراع بالانسحاب من الخليل وتفكيك الاستيطان الكولونيالي من قلب الخليل، ومن كل المناطق الفلسطينية المحتلة. فالاستيطان الكولونيالي يؤلف في حقيقة الامر قنبلة موقوتة تهدد دائما بالانفجار لنسف وعرقلة اي تقدم.

ان تصريحات بعض وزراء الحكومة، مثل نائب رئيس الحكومة، موشيه كتساب وغيره، بأن جريمة فريدمان تؤكد اهمية الاسراع في التقدم للتفاوض حول الحل الثابت والدائم مع الفلسطينيين، صحيحة جدا، ولكنها من حيث المضمون والابعاد تنطبق عليها مقولة «كلمة حق يراد بها باطل». فالمقصود هنا ليس ابدا تغيير الموقف الرسمي الممارس وموافقة حكومة اسرائيل على الالتزام بقرارات الشرعية الدولية وتنفيذ الاتفاقات المبرمة مع القيادة الشرعية الفلسطينية التي تؤدي في نهاية المطاف الى انسحاب اسرائيل من جميع المناطق الفلسطينية المحتلة منذ حزيران ١٩٦٧ وقيام دولة فلسطينية مستقلة في الضفة والقطاع وعاصمتها القدس العربية!

المقصود من تصريحات كتساب وقبله رئيس الحكومة بنيامين نتنياهو بالقفز فورا الى مفاوضات الحل الثابت، هو اللجوء الى تكتيك خبيث تأمل حكومة اليمين من ورائه مصادرة السلطة الوطنية الفلسطينية على شرعية الموقف الاسرائيلي بعدم تنفيذ المراحل والقضايا التي لا تزال معلقة من اتفاقات اوسلو والتي تعني نقل السيادة الاقليمية والسياسية والامنية الفلسطينية على منطقة «ب» و«س» من الاتفاق، والتي ترجمتها تعني توسيع رقعة ارض السلطة الفلسطينية في الضفة الغربية. هذا اولا، وثانيا: لا تخفي حكومة اسرائيل انه تحت غطاء مفاوضات الحل الثابت وجرجرتها، وافتعال الازمات وتفجيرها من خلالها تريد كسب الوقت لفرض وقائع جديدة على الارض الفلسطينية تحرم الشعب الفلسطيني والسلطة الوطنية الفلسطينية من السيادة على غالبية الارض الفلسطينية وتفرض عليه شكلا مشوها من الكيان وحق تقرير المصير او ما يشبه الكيان المنقوص، اقل من دولة ذات سيادة واكثر من حكم ذاتي اداري! وان يكون اتفاق الخليل - السيادة المزدوجة، اسرائيل على الحي الكولونيالي والسلطة الفلسطينية على باقي اجزاء المدينة - النموذج المصغر للكيان المستقبلي المربوط بخيوط التبعية لاسرائيل.

ان مثل هذا الافق الاستراتيجي الذي يعمل الاحتلال الاسرائيلي على نسج خيوطه لا يمكن ان يصمد على ساحة الواقع ولن يكسب التأييد والمصداقية من شعب قدم اغلى التضحيات على درب كفاحه من اجل هدفه المركزي وحقه المغتصب باقامة دولة مستقلة ذات سيادة.

والجريمة الجديدة في الخليل اثبتت انه لا تعايش ولا سلام مع الاستيطان، وعلى حكومة نتنياهو، ان كانت فعلا تريد السلام ومواصلة العملية السلمية، ان توقف فورا عمليات نهب الارض الفلسطينية وتوسيع وتعبئة الاستيطان، وتنفيذ كل القضايا المعلقة، المتبقية من اتفاقات الحل المرحلي، وعندها فقط تكون الظروف مهيئة للانتقال على ساحة التفاوض، الى التداول والبت في قضايا الحل الدائم، قضايا القدس والاستيطان واللاجئين وحدود السيادة الفلسطينية. والمحك اليوم، هو ماذا بعد توقيع اتفاق الخليل؟ محك يكشف حقيقة موقف ونوايا حكومة اليمين، فاما الالتزام بتنفيذ الاتفاقات والاسراع بعجلة العملية السلمية واما ايقاف العجلة في ركود بركاني يهدد بانفجار رهيب.

كلمات.. لحساب العام الجديد؟

(تتمة من ص ٩)

واصطفت الملايين المترعة بعروبتها من المحيط الى الخليج بانتظار «ملوك الطوائف»، يشهرون سيوفهم بوجه الرياح الصفراء، تكنس قبائلهم «الاصولية» المكدسة، التي تحولهم الى نصب جامدة، فلا قيامة الطريق، ولكنهم لا يفعلون!

فالطريق طويل طويل، وقطعان الغربان المتدافعة الى الذبح، فلا سماء الشرق صافية، لغرد الذئاب البشرية عن رائحة الدم البشري المراق والمتدفق نحو بحر العروبة الكبير..

* - ١٩٩٧!

وهل نحن في زمن المعجزات! لقد تعلقوا فينا الرغبة بالعيش في زمان كله قتل وموت ودمار، فلا عجب اذا اخترنا التعايش مع «المسيرتيم» (الكائنات الغريبة القادمة من الفضاء الخارجي)، وآمن انها بذلك، تبني جسورنا الى الزمن القادم.

*

وما كان كان،

ولا حيا، كي تتمرد، او تتجدد، باسم الشرق المعرج للحرية

كي تعلن للانسان العربي هنا، هناك، والآن = الامان!

*

١٩٩٧-!

رحماك يا وطن الامان!!

□ فشة خلق □ يكتبها: يوسف فرح □

معايدة عادية جدا

ولدي الحبيب،

ان شيئا لم يتغير هذه السنة ايضا، العادة هي هي، والرتابة هي هي. ونحن نشيع سنة (٩٦)، كما شيعنا سنوات قبلها، بنظرة شزراء، وشتائم على عدد ايامها وساعاتها، ونشد على يد اختها المولودة من رحم الغيب، لعل حرارة التحية والاستقبال، تجعلها افضل من سابقتها. كان اي انقلاب في اي نظام عربي، يحظى بتأييد شعبي «جارف»، لقد مضى «عهد بائد» واعاد النظام الجديد للبلد وجهه الناصع!

اكلنا وشربنا تلك الليلة حتى اتخمنا، لا جديد، ربما الجديد في ان كانون هذه السنة، قد تقمص ثياب نيسان، فازرقت السماء، ولم تبدُ غيمة واحدة تتحرش بالبدر الوضاء لتالقه بوشاحها. لقد ولت ايام «لزمة المطر»، «والجار لا يطل على جاره».

وربما الجديد ايضا ان بعضنا يعمد في منتصف الليل تماما، الى القاء كل اثر للسنة المنصرمة، في الشارع.. من كؤوس وزجاجات، واطباق (اطباق طعام لا فضاء)، لتتشكل «طرحة» من هشيم الزجاج، تعجز عن طمر الحفر المزمنة الآخذة بالتعمق والاتساع.. فمع بدء سنة جديدة يجب ان نطرح كل القديم ونأتي بكل جديد!

شربنا على الغياب نخبك، كنت انت الوحيد الذي ينقصنا. لكننا الفنا حتى غيابك، ودخل في اطار العادة، فما عاد ينغص كؤوسنا وملذاتنا.

الرؤساء العرب ما زالوا يتناوبون على خيمة الاعتصام «زاعمين» ان الحكومة لا تعطيهم ما لهم من حقوق في الميزانيات، وحكومة «قطعت يدها وشحدت»، تصم آذانها عن المطالب، مؤكدة كما اكدت سابقاتها، وانها متلهفة على تحقيق المساواة، ولكن الامر يتطلب وقتا»! هكذا قال لنا قادة «العمل» منذ خمس سنوات ونيف، لصدقناهم وصوتنا لهم مرتين. وليس بين ليلة وضحاها تصبح انت يا بني مثل يشير بن سارة وبنيامين، حتى لو كان مطلق الوعد قبطان السفينة ذاتها فكيف يتفق هذا مع شعار «دولة اليهود» الذي يرتفع في ايدي اليسار كما في ايدي اليمين!!

قبل ايام يا ولدي سمحنا لانفسنا «بشمة هواء» في كرميئيل، المدينة المجاورة لنا:

هذه المدينة قامت على اراضي نحف والبعنة، قبل حوالي ثلاثين عاما، انها مدينة انوار.. بشوارعها الواسعة وحدائقها الغناء.. ومجمعاتها التجارية العملاقة، ملاهيها، مرافقها. قفزت الى الصورة «مدينتنا»، فكانت مقارنة بائسة التعتني بكذبة المساواة التي يخدرون بها اعصابنا!! ورجعنا مغتمين.

وليلة «ذيل» السنة او رأسها كما تشاء، اقرت ميزانية الدولة، بعد ان «اجبرنا» الحكومة على التراجع، وبقي نصف نقطة الاستحقاق ملازما لنون النسوة. لكن حكومتنا تعرف ماذا تفعل، فهي ستقتطع المبلغ من موقع آخر من جيوبنا، «ومن دقنه فتل له شنباً»! وبقيت في المقابل حصة الرأسماليين، تسعة مليارات شاقل، تدفعها الحكومة لهم، لتمكينهم من الاحتفاظ بالنير، بحز اعناق الاجيرين.

كل شيء عادي.. نشرب نخب بعضنا، وتبدو مضحكة عظام الاطفال الافريقيين المتضورين جوعا، وتبدو مسلية طوابير المشردين الهائمين على وجوههم في روانداا وزائير. وتبدو مرونسة تلك الرحلات التي يرحلها عشرات الفلسطينيين الذين ابعدهم العقيد الى الصحراء منذ عام ونيف، تهيدا والتحرير للتسطين»! وما عاد ذبح عشرات الآدميين في الجزائر يهز شيئا فينا، اذ ما الفرق بيننا وبين الغزلان التي تذبحها في العيد، سوى اننا حللنا اكل لحمها، وحرمنا اكل اللحم البشري!!

وهذا افغانستان، ومنذ ان حركت طريقها الى «الايمان» بعد «الجهاد»، ما زالت على عهد «الجهاد»! فان لم تكن جبهوية قاتلها بادوات امريكية، فانك كأنها الاتهاما بلبس الاردان او بشيرها وسبحان الله الذي لا يتحرك شيء [illegible]

[illegible]

السطو، الحشيش، العنف، ولا بد من قتل فلسطيني لكي تظل الامور عادية.

الفلسطينيون هؤلاء، عندهم «هواية» الموت قتلا!

احدهم استغل صفاء الجو وضياء البدر، فجاء الى مستوطنة كفار دروم، وكفار دروم هذه اليمت قرب رفح في قطاع غزة، وحيث تطأ القدم الاسرائيلية «هذه ارضنا»، ارض اسرائيل! احد سكان المستوطنة لمحه، وربما كان هذا مسؤول الامن فيها، ناداه فلم يرد امره بالتوقف فراح يركض! اطلق الرصاص في الهواء، عبثا! واصل الفلسطيني ركضه! اذن فهو مخرب! ما جاء الا للقتل والنهب. ومع ذلك لم يفقد حارس المستوطنة «انسانيته» وعمل كل ما في استطاعته لتجنب القتل! فما ذنبه اذا جاء «هاوي موت»! وهكذا صوّب اليه فوهة بندقيته.. خر صريعا.. جرى تفتيش الجثة. لم يكن معه شيء، لا سكين ولا قرآن ولا قذيفة «الله اكبر»! ولم يكن معه حتى ما يكشف هويته.. انتهت الحكاية، وانتهى كل شيء.. مجهول من ملايين المجهولين!

هذا الفلسطيني لا يمكن ان يكون قصد المستوطنة لمطالبة معلمه اليهودي بأجرة، احسّ انه ينوي ابتلاعها! ولا يمكن ان يكون جاء لزيارة صديق له فيها! فأية صداقة يمكن ان تقوم بين «السيد والعبد»! فما الخطأ في قتله!!

عادي! أليس كذلك!

و«المتعاونون» من الفلسطينيين، كما تسميهم السلطات، او «العملاء»، كما اطلقنا عليهم، نصبوا هم ايضا خيمة، «يناضلون» من خلالها، مطالبين بحقوقهم. وقد يحصلون على المال والبيت وعلى «شرلبة» تضطر حكومتنا السلطة الوطنية على دفعها لهم، وحظهم ليس ناقصا.

ولقد ولى الوقت الذي كان اللوطيون والسحاقيات يخجلون من انفسهم ومن مجتمعهم، فقفزوا من الخزائن، واذا بهم عشر السكان، واصبح عاديا ايضا ان يقال «هذا بعل ذاك، وهذه زوجة تلك»! لا تستغرب فهذا بعض مما عندكم في بلاد العم سام، فلا تعيرونا بالصلع لئلا نكشف قرعتكم! هؤلاء ايضا اصحاب حقوق، اضطرت دولتنا الى الاعتراف بها وبهم، طبعا لا علاقة بين هذا الاعتراف، وبين اعتراف عالمي بنا!

سنة عادية تمضي، وسنة عادية تحل، فيجد بنو البشر في هذا الفاصل الزمني، مناسبة لتعليق الاخطاء والخطايا، فما اسهل ان تقول «سنة سيئة»، ونخرج ابرأ من ذئب يوسف بن يعقوب، فنواصل تلك آثار السنة، دون ان نكلف انفسنا عناء البحث عما هو سيء في داخلنا..

وكما انتهت السنة القديمة بالقتل، ابت السنة الجديدة الا ان تطل بالقتل. جندي اسرائيلي بكامل زيّه العسكري وغطرسته، امتشق بندقيته الرشاشة، وراح يطلق حباتها على المجهولين «الخليليين» في السوق وحتى كتابة هذا المقال في اليوم الاول من الشهر الاول من عام ١٩٩٧، كان عدد الضحايا ستة جرحى فقط.

هؤلاء هم ايضا «احبوا» الموت قتلا، فما ذنب «المسكين» نوعام فريدمان!

لقد بات واضحا ان فريدمان هذا عمل بمفرده وسيخضع لاحقا طبعا، انه اما «معتوه» واما تعرضت حياته «للخطر من الحجارة الفلسطينية التي لم ترهق»! واما انه لم يطلق النار بالمرة! وتساقط الفلسطينيون هكذا بمفردهم ايضا!

والحرا، ويطل ما انفتحت السنة الجديدة ايامها [illegible] على الفلسطينيين الهرل ابقا، امنهم في [illegible] «القطاع»، ليكل معتمري الطوالي الدينية بين [illegible] لا تزيد نسبتهم عن ١٠ - ١٥٪!

[illegible] زلنا مختلفين يا ولدي، ويدرك الانتظار التي [illegible] الى الشروع في توجيه «العشائر» [illegible]

1997

□ محمود ابو شنب □

دخول الحمام...!!

■ كنا نتمنى لو ان عامنا الجديد يبدأ بغير ما بدأ به، فقد ابلغتنا الاذاعة في صبيحة العام الجديد عن وقوع خمسة قتلى، ضحايا لحوادث الطرق التي تقصف في كل يوم حياة او حيوات جيدة.

وكنا نتمنى في العام الجديد، لو انه لم يظهر في صباح اليوم الاول من العام الجديد، مجرم غولدشطايني جديد، اسمه هذه المرة نوعام فريدمان، اطلق النار بشكل عشوائي على الابرياء من رواد سوق الخليل، وهذا المجرم الجديد يتميز بأمرين، انه جندي بالزي العسكري، وانه يعتمر طاقية المتدينين اليهود المطرزة.

وكنا نتمنى لو ان رئيس الحكومة، بنيامين نتنياهو، اكتشف قبل نهاية عام وبداية آخر، ان «دخول الحمام ليس مثل الخروج منه»، ونحن نشهد ان الرجل جاهد واستقتل، ودخل الحكومة منتخبا، ومضى على انتخابه نصف حول حتى يكتشف في ليلة رأس السنة الجديدة، «انه لا يمكنه الاستمرار هكذا، مع ائتلاف كهذا»، ويجاهر بهذا الامر علنا، ويفسر المراقبون مجاهرته هذه بأنها دعوة لحزب العمل من اجل تشكيل حكومة «وحدة قومية»، بل ان نتنياهو نفسه، جمع مقربيه في مكتبه في الكنيست، وهدد بأنه يفكر في تشكيل حكومة «وحدة قومية» اذا واصل اعضاء الائتلاف الحكومي تصرفهم الراهن.

ولم ينتظر، بل قام بتنفيذ القول بالفعل، فاتصل بشمعون بيرس، زعيم حزب العمل (حتى الآن)، واجرى معه محادثة طويلة، بل دعاه ايضا الى لقاء في يوم الخميس - امس. وكنا بدورنا قد ذكرنا اشاعة تدور بأن حكومة «وحدة قومية» ستقوم بعد التوقيع على اتفاقية اعادة الانتشار في الخليل.

وكنا نتمنى في العام الجديد، لو كان الشجب والاستنكار الذي اعرب عنه كثيرون وعلى رأسهم، رئيس الحكومة نتنياهو، لم يتخللهما نغمة خفية، اضيفت الى الشجب والاستنكار، فسلخت بعضا كبيرا من الصدق والاخلاص فيه، فاكثر الشاجبين، وفي مقدمتهم رئيس الحكومة، ابرزوا، ان المجرم الجديد ليس من مستوطني الخليل، انما من مستوطني معليه ادوميم، وانه اعترف في اثناء التحقيق معه انه فعل ما فعل عامدا متعمدا لتخريب اتفاق اعادة الانتشار في الخليل.

كأني بالشاجبين يستهدفون من هذا التأكيد، بأن مستوطني الخليل هم «جماعة اوادم» ينقطون ادبا، وانهم قمة في اللطف ودماثة الخلق!! ثم ان المجرم بالزي العسكري ليس من مستوطني الخليل وانه اعترف، نعم اعترف بأنه يريد تخريب الاتفاق حول الخليل فماذا تريدون؟! وكأنهم يريدون اقناعنا بأن الوقائع المذكورة هي براهين وادلة على براءة المجرم وليس لادانته.

ولم يتورع بعضهم عن الغمز، بأنهم لا يعرفون ما اذا كان المجرم فريدمان قد تعرض لاعتداء من قبل فلسطينيي الخليل اضطره الى اطلاق النار، وذلك على الرغم من تأكيد الضابط الذي القى القبض على المجرم، بأنه لم يتعرض لاي اعتداء او استفزاز.

وكنا نتمنى لو ان رئيس الحكومة، نتنياهو، ادرك منذ البداية، ان تصرفاته الاهوج وتصلبه وتصريحاته الكثيرة انه لن ينسحب.. لن ينفذ اتفاقا وقعت عليه الحكومة السابقة بالنسبة للخليل.. وان القدس لنا(!) والمستوطنات ليس فقط انها لن تتزحزح من مكانها، بل ستتوسع وستقام مستوطنات جديدة.. وان الجولان حيوي لامن اسرائيل.. وان.. الخ.

كنا نتمنى ان نتنياهو ادرك بأن كل هذه التصريحات سوف تترك اثرا بالغا لدى اولئك الذين يحلمون (مثله) بأرض اسرائيل الكبرى (قبل ان يدخل الحمام!) وانه بهذا انما يقوي تطرف المتطرفين وتصلب المتصلبين، خصوصا، وان من اشتركوا في ائتلاف حكومته هم الذين يفكرون ويعملون على تنفيذ ما يفكرون به، وبالتالي، يكون نتنياهو لا غيره، المسؤول المباشر عما جرى ويجري وسيجري، اذا ما بقي على تصلبه وتعنته.

الا يمكن ان يكون المجرم نوعام فريدمان، قد رسخ في ذهنيته وهم اسرائيل الكبرى، الذي نماه نتنياهو بأفعاله وتصريحاته، فأصبح هذا الفريدمان يرى في اتفاق الخليل - الذي قيل انه موشك على الانتهاء باذن الله..(!!) عبارة عن خيانة للمبادئ التي نادت بها حكومة نتنياهو، ولذلك، يكون من الوطنية - حسب مفهوم المجرم - تخريب هذا الاتفاق؟ ثم الا يجوز ان يكون المئات وربما الالوف، وحتى بين افراد الجيش يرون ما رأى فريدمان هذا وقام بتنفيذه؟. ان تصريحات نتنياهو وتعنته ورصده الميزانيات للتوسع والاستيطان.. هي هي التي جلبت الدب الى كرمه، هذا اذا لم يكن هو الدب نفسه.

ماذا جرى في اعقاب الحادث الاجرامي الذي ارتكبه فريدمان في الخليل؟ لقد دخلت قوات كبيرة من الجيش الاسرائيلي الى الخليل اضافة الى القوات التي كانت هناك، وزيادة على ذلك قبل، ان دبابات ومجنزرات دخلت الخليل ورابطت هناك، وفرض الجيش على اهالي الخليل حظر تجول، لم يفرضه على المستوطنين بالطبع.

وماذا يريد المستوطنون؟ انهم يطالبون ببقاء الجيش في الخليل، يدعمهم في ذلك كل المتطرفين من وزراء واعضاء كنيست، فالمستوطنون يعرفون انهم في ظل حراب الجيش يستطيعون اعاثة الفساد والتخريب في المدينة، وبحماية حراب الجيش يمكنهم احتلال البيوت العربية، وتحت راية للجيش فقط، يستطيع اربعماية مستوطن التحكم بمائة وخمسين الف فلسطيني في الخليل.

وجود المستوطنين في الخليل، هذا الورم الخبيث، مثله مثل قنبلة موقوتة موضوعة سلفا تحت اي اتفاق يتم الوصول اليه في الخليل. وذلك انه حتى بعد «الانتشار»، الذي اعلن كل رؤساء عصابات المستوطنين الفاشيين عن عزمهم على مقاومته واحباطه، فانه يكفي ان يقوم مستوطن مسلح باطلاق النار على الفلسطينيين حتى تقوم القيامة، والكل يعرف ان المستوطنين كلهم مسلحون.

لكي نبدأ عامنا الجديد بخير وعلى خير، فمن الخير للجميع، عربا ويهودا، اخراج المستوطنين اليهود من قلب الخليل، ولن يمانع الخليليون حينئذ، اذا دخل متدينون يهود للصلاة في الحرم الابراهيمي بموجب اتفاق لن يصعب التوصل اليه.

* غازي ابو ريا *

«هل يحضّر اليهود المسلمون لحرب هي لوجه الله؟»

﴿المسلم العلماني يصافح اليهودي العلماني في الخليل وحيفا﴾

﴿اليهودي المتعصب يتمنى قتل المسلم المتعصب والثاني كالاول عند قبر ابراهيم﴾

اعتاد الناس على زيارة قبور الانبياء واولياء الله طلبا للشفاء من مرض، او املا في خلاص من فقر او ضائقة. افهم هذا السلوك، مع ان في ذلك بعض الانحراف عن التوحيد والايمان بالله واحد.

هل يحتاج الانسان الى وسيط بينه وبين خالقه؟ وهل يرفض الله سماع دعاء عبده الا باذن من احد اولياء الله او من نحسبهم اولياء الله؟

وعقلية الوسيط هذه دارجة في المجتمع. ومن الصعب على انسان وصول غاية بلا وسطاء. حتى يبلغ الانسان وظيفة او منصبا.. يتوجه الى شفعاء من المقربين للمسؤول صاحب الامر والنهي..

وهذه العقلية يستعملها الانسان حين يحتاج شيئا يعجز عن بلوغه بطاقاته.. او حين يتورط في مأزق صحي او اقتصادي او اجتماعي او.. ولا يجد دعما من محيطه، او يعجز محيطه عن دعمه.. يتوجه الانسان الى قبور ومقامات بشر ماتوا منذ قرون.. يرجو من الاموات ان يعالجوا همومه.. فيدخلوا مكاتب اله في السماء.. وهناك لهم حظوة عند خالق الخلق.. ولا يرد لهم مطلبا..

من الناحية الدينية - هذا هو الخلاف الحاسم والاساسي الذي كان بين النبي محمد وقريش. أراد النبي الغاء كل انواع الوساطات مع الله. فقد آمن القرشيون بالله الواحد الاحد.. لكنهم اعتقدوا ان هذه الاصنام والتي تشكل هيئة لرجل او ملاك، وتتمتع هي ايضا بحظوة عند الله، والمقصود ليس الصنم بل اسم الرجل الذي يرمز اليه الصنم. كما ان الشفاعة لا يطلبها الناس من القبر بل من ساكن القبر..

وبما ان ساكن القبر ما زال ميتا ولم يبعث بعد فهل طلب الشفاعة من ميت اكثر نجاعة من طلب الشفاعة عند حجر او ضخرة او صنم؟ وحتى لا تبقى زاوية من شك اقول: ان الديانات السماوية تؤمن بأن يوم البعث هو لكل الخلق دون استثناء.. اي ان الانبياء والصديقين ما زالوا امواتا ولم يبعثوا بعد.

رغم ذلك.. اقول، كل انسان ومعتقداته.. فاذا كانت شفاعة ساكن القبر مأمولة - وتعطي الانسان املا وراحة نفسية.. فلا خطأ في ذلك..

وقد تكون زيارة هذه المزارات، من باب احترام هؤلاء الصالحين.. والعلاقة العاطفيةوالدينية معهم، وهذا شعور مبارك يستحق التشجيع..

اذا كانت قبور الانبياء والصالحين مقدسة للاسباب التي اوردت.. لماذا تصبح هذه القبور عاملا في اشعال حرب لا احد يعرف نتائجها.. ومن يشعل فتيل هذه الحرب. بالضبط اولئك الناس الذين يعلنون عن حبهم الساخن والابدي لهذه القبور.

مسلمون ويهود، يظهرون الخشوع والتعبد وحب الله عند الحرم الابراهيمي.. ومن يؤمن بشيء يرغب لو يؤمن العالم كله بما يعتقد هو.. لماذا لا يفرح اليهودي حين يسمع بعض المسلمين يصلون بكل حرقة عند قبور آباء اليهود؟ ولماذا لا يفرح المسلمون حين يصلي اليهود بكثافة عند قبور ابراهيم ونسله من الانبياء وكل «كتّابه»؟!

وقد افهم كل الخلافات بين اليهود والمسلمين لكن، لا يمكنني ان افهمها هناك عند الحرم الابراهيمي. المنطق يقول: «يجب ان يكون هذا المكان اكثر بقاع الارض امنا وسلاما. لانه يستقبل المتدينين جدا من ديانتين تقدسان المكان..

اين المشكلة اذن؟ انها في الرغبة الجامحة وغير القابلة للمساواة عند كل طرف. رغبة الاستئثار بالمكان. وهذا ينبع من ايديولوجية، او فلنقل عقيدة دينية متعصبة، كسبها الانسان من رجال دين متعصبين.

مثل القتلة في الجزائر، كباروخ غولدشطاين، كهذا الجندي الذي نشأ في مدرسة دينية، رضع تعاليم غير قابلة للتفاوض.. علموه ان ارض اسرائيل - فلسطين - لليهود بعطاء من الخالق.. وهؤلاء العرب يشكلون خرقا لوصية الله ولا بد من قتلهم من اجل رب اسرائيل فقط لا غير، وكان هذا الجندي يتمنى أن تكون ملبحة، تنتشر المواجهات، وتعلو الارض لحما ودما.. حتى يمنع عملية خروج جيش اسرائيل من الخليل. وهذه حقائق بالنسبة له، لا يمكن اقناعه ولا يمكن التفاوض معه على حل وسط.. لانه يعتقد بأنه يملك الحقيقة كاملة.. هل كنت تتنازل سيدي القارئ عن حقيقة ان (١+١=٢)!؟

وهذا هو التفسير الوحيد لعمليات القتل الوحشية في الجزائر، ما معنى ان يقتل متدين اطفالا ونساء.. ثم يقصون رؤوسهم ويقطعون اطرافهم؟ ان القتلة يعتقدون بأن هؤلاء الناس اعداء الله، لانهم لا يؤيدونهم وهم اصحاب الحقيقة الكاملة.. فالله لهم والحقيقة لهم.. والقتل اقل عقاب ديني لأعداء الله!!!

من الممكن ان تحدث مصالحة بين طرفين قوميين.. ودلالة ذلك، ان القومية الفلسطينية اصطدمت بالقومية اليهودية.. وفهم الطرفان بعد طول عناء.. ان الايديولوجية القومية ليست مقدسة، وتنازل الطرفان، وكان من الممكن ان تكون هذه الايام عهد سلام شامل وكامل لولا ان تدخلت العقيدة الدينية اليهودية والمسلمة بشكلها المتعصب، محاولة منع السلام الذي يهدد ايديولوجيات الفئتين..

في زمن المعراخ.. عمل المتعصبون المسلمون على تحريض الشارع اليهودي، وتهديد امنه داخل اسرائيل، حتى يجعل اسرائيل تتراجع عن العملية السلمية لانه لم يستطع فرض رأيه على السلطة الفلسطينية.. وتعاون التعصب اليهودي معهم، حتى وصل قتل، رابين..

واليوم، حشر اليهود المتعصبون في الزاوية. حتى الرئيس الذي انتخبوه سينسحب من الخليل.. ولم يبق امامهم الا جعل الفلسطينيين يوقفون العملية السلمية.. ذلك الجندي.. الذي اطلق الرصاص على الناس في الخليل، يشعر بخيبة الامل، حتى كتابة هذه السطور.. لانه اراد هجوما فلسطينيا كاسحا على الخليل.. وتمنى ملبحة لليهود في قلب الخليل، وآلاف القتلى من الفلسطينيين.. عندها لن يجرؤ زعيم من الطرفين على التفكير بذكر كلمة سلام على لسانه..

بلادنا الآن، تحت رحمة عقيدة دينية متعصبة، وانا على قناعة كاملة بأن «الليكود»، وان ادعى ان اوسلو موروثة ولا يستطيع الا تنفيذها، فهو يدرك ان هذا هو الحل.. والشعب الفلسطيني ادرك ان اوسلو اتفاقية له وليست عليه..

الشعب الاسرائيلي والشعب الفلسطيني، يدركان بأن هذا هو الحل.. ومن غير الصعب ان يرسم عرفات ونتنياهو كل الحل في سهرة واحدة تتخللها هواتف من اوروبا وامريكا وبلاد العرب تسأل الزعيمين: «وهل توصلتما الى حل؟»

لكن الحقيقة كل الحقيقة يجب ان تقال، حتى يقرر الناس كيف يسلكون غدا.. نعم، ان الحل السلمي بين عرفات ونتنياهو وبعض الدول.. لكن خيار الحرب بيد الفئات الدينية المتعصبة.. هذه الفئات تجتهد السلطة الفلسطينية على مراقبتهاومنع اعطائها الفرصة للتخريب.. قد ينجح عرفات تماما في منعهم، وقد يفشل احيانا.. لكن، تكون كارثة لو اوقفت اسرائيل عملية السلام بسبب ملبحة قد تكون..

وقد يقدم متعصب يهودي على تنفيذ ملبحة ضد العرب، وانا على قناعة بأن حكومة اسرائيل تحاول منع ذلك، لكن، حكومة اسرائيل مطالبة اليوم بتكثيف نشاط مخابراتها حيث الفئات اليهودية المتعصبة.. بالضبط كما تطلب من عرفات ان يراقب وينتبه الى الفئات الاسلامية المتعصبة عنده.

ان غالبية الشعبين الساحقة تتمنى السلام.. ماذا ينفع قبر ابراهيم اما عربية او يهودية ثاكلاً؟!. هل جعل الله ابراهيم ابا لليهود والعرب حتى يسفكوا دماء بعضهم بعضا؟ اين دينكم يا «عشاق» الدين؟!

منطقة كاملة تجنح الى السلام بـ ٩٠٪ منها.. وفقط اقل من ١٠٪ هم من المتدينين جدا جدا.. هم اصحاب الصوم والعبادة والصلاة.. من اليهود والمسلمين.. هؤلاء وهم قلة، لو كانوا الحكام لشنقوا الشعب.. هؤلاء، يحملون الشرق الاوسط على ايديهم ولا اعرف على كف اي عفريت يضعون الشرق كله.. هؤلاء بحاجة الى علاج نفسي مكثف.. وقبل ذلك، لا بد من اعلان اسرائيلي فلسطيني ان العقائد الدينية لا علاقة لها بالحل السلمي..

«الايدز» لم يأت من «القرود الخضراء» بل من مختبرات «السي. آي. ايه»!

● عالم الماني يعتقد ان فيروس «الايدز» هو نتاج غير ناجح لتجارب اجراها «البنتاغون» و«السي. اي. ايه» بهدف صنع سلاح بيولوجي فتاك ● لا يمكن ان ينتقل الفيروس من الحيوان الى الانسان ●

* بقلم: د. فؤاد خطيب *

● ما زال مرض «الايدز» يشغل بال البشرية ويقلقها. فحتى الآن بلغ عدد المصابين به في العالم ما يقارب الأربعين مليون مصاب. وهناك أكثر من مليون ونصف المليون اصابة جديدة، تسجل سنويا. اما عدد الذين توفوا من جراء المرض فيقدر بسبعة ملايين شخص.

ان هذه الأرقام المذهلة والمرعبة كانت ضريبة للمدنية التي جلبت ثورة في عالم المواصلات والتقدم العلمي الجبار، من المكوك الفضائي الذي يجوب الفضاء الخارجي البعيد والمجسمات التي تسبح بسرعة خيالية لتكتشف الفضاء والعوالم الأخرى المخفية. هذه المدنية جلبت ثورة ايضا في السياسة والعلوم والطب، جلبت معها أوبئة تعصف ببني البشر. واتى القرن العشرون بثورة علمية وانجازات هائلة فاقت كل تصور خاصة في الخمسين سنة الأخيرة، حيث حصلت طفرة نوعية في تطور الانسانية لم يعرف مثلها تاريخ التطور البشري. التطور الحاصل والتقدم السريع في اقتحام المستقبل أتى بالخير على المجتمعات الغنية من ناحية وحولها الى مجتمعات استهلاكية من ناحية أخرى وبدأت تخسر مبادئها وشرائعها تدريجيا.

فمعظم ثروات هذا التقدم العلمي اجتمعت في أياد قليلة تحكم العالم من وراء الكواليس بطرق عصرية وركزت في اياديه كل اوراق اللعبة في السيطرة على اسواق المال العالمية وتجارة السلاح وحتى تجارة المخدرات. وطوعت بين ابديها حتى الأنظمة الأكثر «دمقراطية» في العالم الغربي.

كلنا يعلم عن استيراد السموم القاتلة والمخدرة من امريكا اللاتينية وعلاقة المخابرات الامريكية بذلك، وعدم اعتراض الحكومة الامريكية على ما يجري وعلى توزيعها ونشرها بين الزنوج الامريكيين في لوس انجلوس واطلنطا وشيكاغو، لقتل الروح المعنوية والجسدية والعرقية لاولئك الذين لا تتوافق مواصفاتهم تلك مع العقول التي لا تحترم الانسان والشرائع ومستعدة للتجارة بحياة مواطنيها.

الأمر الذي نحن بصدده في هذه المقالة، داء «الايدز» الخطر بات يهدد البشرية. فكيف عرفه العالم؟ متى وأين ولماذا؟

ان اول حالة «للايدز» ظهرت في الولايات والمدن الامريكية الأخرى وعرفته اوروبا وافريقيا حتى لحق باكتساح العالم بأسره. أوكد بأن المصدر الاول للمرض كان امريكا فأول مريضين لوطيين من البيض من جنوب افريقيا كانا في اجازة في نيويورك والاشخاص الألمان التسعة الذين اصيبوا بالمرض كانوا على الشاطئ الشرقي الامريكي....

لقد أردنا التأكيد على هذه الحقيقة لدحض الدعاية الغربية التي تدعي بان هذا المرض الخطير انطلق من الغابات الافريقية ومن المواطنين الافارقة الى باقي ابناء المعمورة.

أثبت العلماء المختصون وبيّن العالم الألماني جاكوب سيغال المختص بعلم المناعة بطلان تلك الفرضية واستحالة انتقال الداء من القرود الخضراء التي تعيش في ادغال افريقيا الى البشر هناك. كذلك أكدت ذلك النظريات المختصة بعلم الوراثة وعلم المناعة.

لقد كشف العالم الالماني عدم صحة الادعاء المذكور عام ١٩٨٦ مؤكدا ان الجهاز الوراثي عند فيروس «الايدز» - HIV - مماثل تماما للجهاز الوراثي عند فيروس «فيسنا»، هذا المرض المعروف في نيوزيلندا يصيب الأغنام ويدمر خلاياها العصبية. لا يمكن هذا الفيروس اختراق الخلايا البشرية لخصوصيتها وتطور أغشيتها الخلوية واختلاف جهاز المناعة البشري عن الحيوان.

فيروس آخر معروف "HTLV" يسبب مرضا في الجهاز الليمفاوي البشري يدعى «ليمفوفة» وهو نوع من سرطان الدم يؤدي الى تكاثر الخلايا الدموية البيضاء غير الفعالة وظيفيا وعلى حساب باقي الخلايا الدموية. مما يؤدي بدوره الى تحطيم جهاز المناعة ومن ثم عجز الجسد التام عن مقاومة الامراض المعدية البكتيرية والفيروسية والفطرية على حد سواء. هذا الفيروس "HTLV" يمكنه اختراق الجسم الانساني. خلط المواد الوراثية لكل من الفيروسين - فيروس «فيسنا» الذي يصيب الأغنام و"HTLV" أدى الى نشوء فيروس «الايدز» الـ - HIV. اعتقد ذلك العالم الألماني الشرقي ان هذا الفيروس القتال كان نتاجا غير ناجح لسلاح بيولوجي، انتاجه تم في معامل البنتاغون و«سي. آي. ايه» بالتحديد في مختبر خاص مجهز بصورة استثنائية اعد في الأصل لاستقبال رواد الفضاء الخارجي بعد رحلاتهم المكوكية لفحصهم وفحص معداتهم خوفا من جلبهم من الفضاء لفيروسات او ميكروبات مجهولة. المعمل موجود في فورت - دايتريك في الولايات المتحدة. وانتاجه كان جريمة في حق البشرية جمعاء.

لقد جرب مخترعو الفيروس ذلك على المحكومين بالاعدام في سجون الولايات المتحدة. وهدفهم كان استخدام سلاح بيولوجي قاتل خلال ساعات او ايام محدودة مثال جرثومة الـ "ANTHRAX" والنتيجة كانت مغايرة. اذ ان الاعراض الاولى «للايدز» هي التعب العام والرشح والسعال وأمراض اخرى خفيفة تشابه اعراض النزلة الصدرية. انتشر الداء اول ما انتشر في سجون نيويورك ومنها انتقل الى شوارعها ومنها الى العالم البعيد وحسب رأينا لم تكن قبائل الافارقة البدائية الا تجارب رخيصة الثمن، معدمة، بعيدة، الى حد كبير في معظمها عن التنظيم والمناهج المتعارف عليها والاعراف الاجتماعية الدينية فيما يتعلق بالعادات والتقاليد الجنسية وطرق الزواج وتنظيم الحياة العائلية.

كل هذا يفند «نظرية القرود الخضراء» ويدحضها بصورة لا تقبل التأويل بعد كل الابحاث عن هذا المرض الذي صُدّر الى افريقيا من امريكا الشمالية وليس العكس. أما انتشاره الساحق في افريقيا اليوم فيصل الى ٢٠ مليون اصابة.

٢٠ عاما تقريبا مضت على اكتشاف اول اصابة وما زال العلم يقف عاجزا بكل ما يملكه اليوم من وسائل تكنولوجية متطورة جدا وخاصة في حقل الهندسة الوراثية عن انتاج دواء لذلك الفيروس او حتى مصل وقائي كما يوجد لباقي الفيروسات الوبائية كفيروس الحصبة، ولفيروس شلل الاطفال، ولفيروس داء الكبد الوبائي وحتى لفيروس الانفلونزا.

كل ما قيل أعلاه يجبرنا على طرح اسئلة متعددة محيرة حول هذا الداء الذي بات يكتسح البشرية ويحصدها كما الطاعون في العصور الوسطى.

لماذا لا ينتج الجسم الانساني المصاب بمواد مضادة لهذا الفيروس؟

- لماذا لا يستطيع العلم خلق مصل واق؟ ولماذا لم يصنع حتى الآن دواء فعال ضد هذا المرض؟ وغيرها من الاسئلة المحيرة التي تطرح نفسها بعد هذه التجربة الطويلة مع هذا المرض.

قبل سنوات جرى الحديث عن التوصل الى استحضار مواد مضادة «للايدز» من عينات دم البغايا في نيروبي، مثل هذا الكشف معناه حل مشكلة «الايدز» نهائيا. اذ انه اليوم ليس من العسير خلق مواد مضادة مشابهة لتلك التي وجدت بالهندسة الوراثية وتصنيعها ومن ثم حقنها للمرضى والحاملي «الايدز» ومن ثم القضاء على هذا الوباء.

الجسم الانساني بقي كما كان عاجزا، عن انتاج مثل هذه المواد في حالة هذا الفيروس الهجين - الغريب عن الانسجة البشرية وخصوصياتها والجميع وخاصة الاطباء، والعلماء، والعاملون بمجال جهاز المناعة يعرفون ما هي حساسية وخصوصية جهاز المناعة البشري وكيفية انتقاله للمورثات والعوامل الخارجية عند خلقه المواد المضادة ضد تلك الاجسام الغريبة. لكن الطب لا يزال يقف عاجزا عن انتاج ادوية فعالة ضد الفيروسات كما هي حالة المضادات الحيوية ضد الميكروبات. الصعوبة تكمن في هذه الحالة في الطفرات الوراثية السريعة التي تحدثها الفيروسات في مورثاتها الوراثية وسرعة تأقلمها للظروف المتغيرة. نقصد بهذا جميع الفيروسات فما بالك بفيروس «الايدز» الذي بقي وما زال لغزا محيرا امام الاطباء والعلماء.

برهان آخر قاطع على ان عينة «الايدز» خرجت من مختبرات الـ «سي. آي ايه» وليس افريقيا السوداء، هو سقوط نظريتهم تلك. فالمرض لا يصيب فقط مدمني المخدرات واللوطيين انما يصيب ايضا النساء، وينتقل من المرأة الى الرجل وبالعكس خلال ممارسة عملية جنسية طبيعية، حسب رأينا لا يمكن وضع هذا الشيطان بالجسد الا بعد معرفة القصة كاملة حول هذا الوباء الاصطناعي!

كيف نفسر ولاية الجراثيم وما هي معادلات تركيبة وأسرار خلقه والتي ربما تكون محفوظة داخل حاسوب سري؟!

(المعاصرة)



د. فؤاد خطيب

هل هناك علاقة بين الوزن لدى الولادة.. وبين الاصابة بسرطان الثدي؟

● تقول دراسة امريكية حديثة ان هناك علاقة بين وزن الطفلة عند ولادتها وبين مخاطر اصابتها بسرطان الثدي بعد نضوجها. ومع ان الاسباب التي قدمت لم تكن كافية الا أنها افادت بأن النساء اللواتي كان وزنهن عند الولادة أقل من (٥ ٢١) كغم كانت احتمالات اصابتهن بسرطان الثدي أكبر من غيرهن بحوالى نصف مرة.

لا تقبلوا أطفالكم من أفواههم



● تقبيل الاطفال من الفم ينقل عدوى أمراض اللثة اليهم بسرعة، لذا ينصح بالامتناع عن تقبيلهم من الفم.

هذه التوصية خرجت بها دراسة اجريت في جامعة ملبورن في استراليا والتي نفى الباحثون من خلالها ايضا، القول بأن تنظيف الأسنان بكثرة يضر. والصحيح ان تنظيف الأسنان بفرشاة صلبة هو الذي يلحق الضرر باللثة مؤكدين على أهمية الاختيار الصحيح للمعجون للحفاظ على الاسنان بيضاء، وقوية وذلك باحتوائه على مادة «الامينفلوريد» المكافحة للتسوس بشكل فعال، والتي تمنح الأسنان تماسكا واضحا اضافة للمعانها وثباتها. ونصحت الدراسة اصحاب اللثة الضعيفة باستخدام فرشاة ناعمة حتى لا تُجرح اللثة عند تنظيف الأسنان بشكل متكرر، الى جانب تناول الأطعمة التي تحتوي على الكالسيوم بشكل مركز، لان تفاعل الكالسيوم مع الفلوريد يكوّن طبقة للأسنان تحمي حساسيتها وتزيد من التصاقها باللثة. وبالطبع يجب عدم التساهل مع نزيف اللثة اذا ما حدث، لأن ذلك مؤشر لوجود التهاب بحاجة لعلاج فوري.

الانفلونزا.. مرض الموسم

● يعتبر الفيروس المسبب الوحيد للانفلونزا التي تصيب الكثيرين منا خاصة هذه المرحلة من السنة. لذلك لا تستطيع المضادات الحيوية القضاء عليه لكن اللقاح المضاد له هو المساعد الوحيد للوقاية منه. فهناك بعض العقاقير المضادة للفيروسات قد تساعد. والتطعيم هو الطريقة الاولى للحماية بنسبة ٧٠ - ٩٠٪. وهناك الادوية المضادة للفيروس نفسه والتي تستطيع توقيف تكاثره والتخفيف من أعراض المرض سريعا.

والعلاج يجب ان يبدأ خلال (٤٨) ساعة من بداية حدوث المرض عن طريق زيارة الطبيب. أما العلاج المسكن للانفلونزا فيستطيع ازالة اعراض المرض لكنه لا يؤثر على الفيروس نفسه الذي يصل أعلى معدل لانتشاره في شهري كانون الاول وآذار حيث يمكن ان ينتقل عن طريق العدوى.

ونحن ما زلنا نتحدث هنا عن النوع البسيط للانفلونزا، لكن يجب الاشارة الى ان فيروس الانفلونزا يشكل خطرا جديا على حياة المرضى وقد يكون مسببا لأمراض خطيرة، فمثلا هذا المرض (الانفلونزا) يصيب سنويا أكثر من (٥٠) مليون امريكي وعدد الأموات من جراء الاصابة به او من مضاعفاته يتراوح سنويا بين (١٠) آلاف الى (٤٥) الف امريكي. ويعتبر مرض الانفلونزا والالتهاب الرئوي الحاد سادس الأمراض المسببة للموت في الولايات المتحدة. لذا هناك تأكيد صحي عالمي على أهمية أخذ التطعيم للاشخاص الذين يعانون من امراض معينة كالالتهابات الرئوية المزمنة ... ويحظر على الاشخاص الحساسين للبيض أخذه لان البيض يدخل في تصنيع اللقاح.

الكشف المتأخر عن سرطان الثدي انخفض بنسبة (٥٠٪)

● جمعية مكافحة السرطان اصدرت كراسا باللغة العربية حول المرض، يحتوي على شرح وارشادات حول الموضوع ● فحص «المامو غرافية» هو الوسيلة الأنجع، حتى الآن، للكشف عن المرض. ويُعتبر مكمّلا لفحص الطبيب ●



● أثبتت بحوث اجريت، مؤخرا، ان هناك علاقة بين تركيب الغذاء وتعاظم خطر الاصابة بمرض السرطان وخصوصا سرطان الثدي. وقد أشارت بعض الابحاث الى ان استهلاكا مبالغا للكحول والدهنيات والسعرات الحرارية الزائدة يؤدي الى تعاظم نسبة الإصابة بالسرطان.

وكما قال د. ميخا برحانا مدير وحدة تسجيل مرض السرطان في وزارة الصحة فان هناك ارتفاعا في نسبة الكشف المبكر عن سرطان الثدي وهبوطا في نسبة الكشف في المرحلة الرابعة عند انتشار المرض بنسبة ٥٠٪. وهذا يعود الى زيادة الوعي في أهمية الكشف المبكر عن المرض.

ومن جهتها تسعى جمعية مكافحة السرطان لنشر الوعي بين النساء لزيادة الوعي عندهن حول خطورة الموضوع وأهمية الفحص المستمر والثابت لدى الطبيب الاخصائي اضافة الى الفحص الذاتي.

وأصدرت الجمعية، مؤخرا كراسات خاصة باللغة العربية حول مرض السرطان بشكل عام وسرطان الثدي بشكل خاص، وكما قال الاطباء، في الجمعية فانه لم تتضح بعد مسببات سرطان الثدي، لكن اتضح ان هناك نساء معينات أكثر تعرضا للاصابة بالمرض من غيرهن وهن: * النساء اللواتي مرضن سابقا بسرطان الثدي * النساء اللواتي اصيب افراد من عائلاتهن بسرطان الثدي خاصة اذا كانت المصابة الام او الاخت * النساء اللواتي لم تنجبن الاطفال بتاتا او انجبن في سن متقدمة * النساء اللواتي بدأت الدورة الشهرية عندهن في سن مبكرة (١١ سنة) وانقطعت في سن متقدمة.

ويؤكد الاطباء، ان هناك ضرورة لاجراء الفحص الذاتي في البيت للكشف عن المرض علما بانه ثبت ان فحص «المامو غرافية» هو الوسيلة الأنجع الموجودة حتى اليوم للتشخيص المبكر والذي يعتبر ثقة في ٢٠٪ من الحالات تقريبا، لذلك عندما تشخص كتلة غريبة بواسطة الفحص اليدوي يجب فحص الأمر بشكل اساسي لمعرفة نوع الكتلة حتى لو كان فحص «المامو غرافية» سلبيا.

و«المامو غرافية» تعتبر وسيلة تشخيص مكملة لفحص الطبيب لتقييم المعطيات التي اكتشفت اثناء فحصه. وبواسطة «المامو غرافية» يمكن الكشف عن تغيرات اولية خبيثة في الثدي مثل كتل صغيرة من غير الممكن لمسها. وبواسطة هذا الفحص يمكن الكشف عن سرطان الثدي في مرحلة مبكرة جدا. وهذا يجعل امكانيات الشفاء عالية جدا.

وعلى النساء الأكثر عرضة لخطر سرطان الثدي ان تستشرن الطبيب المعالج حول وتيرة تكرار فحص «المامو غرافية».

وبناء على توصيات بحوث ودراسات واستطلاعات مختلفة يؤكد الاطباء على أهمية اجراء فحص ذاتي شهري منظم للثدي من سن ٢٠ عاما وما فوق وفحص الطبيب مرة كل سنة من سن (٣٥) سنة فما فوق. وفي شريحة النساء في جيل ما بين (٤٠) الى (٤٩) عاما مهم جدا فحص النساء اللواتي امهاتهن او شقيقاتهن اكتشف لديهن سرطان الثدي.

ويُشدد على اجراء الفحص خاصة للنساء اللواتي بلغن سن الخمسين فما فوق. وهناك اجماع عام وعالمي على ان فحص «المامو غرافية» السنوي هو أمر ضروري.

ويشار الى ان هذا الفحص غير مؤلم وسريع وذو كمية اشعاع منخفضة جدا اذ يضغط الثدي في الفحص بين عارضتين، واحيانا يسبب الضغط شعورا غير مريح او آلاما لثوان معدودة.

لكل من ترغب في الحصول على مواد اعلامية حول هذا الموضوع باللغة العربية يمكنها الاتصال على هاتف رقم (٠٣/٥٧٢١٦٢٦).

كعكة العنكبوت



المقادير:

* ٤ كؤوس - كعك جاهز.
* كأس - مربى.
* كأس كراميل مدقوق.
* كأس شوكولاطة ناعمة.
* كأسان - مكسرات مفرومة.
* فانيليا.
* قرفة.
* سمنة.
* فاكهة مكسرة.

الطريقة:

* يوضع المربى والسمن على النار حتى تغلي ثم تضاف الشوكولاطة الناعمة.
* يضاف الكعك الجاهز مع التقليب على نار هادئة.
* تضاف المكسرات مع استمرار التقليب ثم تضاف الفانيليا والقرفة.
* ترفع من على النار ويضاف الكراميل المدقوق وتقلب.
* تدهن صينية بالزيت ويوضع فيها الخليط ويضغط عليها وتقلب في طبق للتقديم.
* تغطى الكعكة بالكريم ثم توضع الشوكولاطة بعد تسييحها. ثم تمرر كل مرة عكس الاخرى، لتأخذ شكل عش العنكبوت.

للحفاظ على جمال وجهك



● للحفاظ على جمال ورونق بشرة وجهك هناك العديد من انواع الأقنعة فاحرصي على اختيار القناع المناسب لبشرتك.

- اذا أردت صنع قناع في البيت، فالقناع الأفضل للجلد الجاف هو مهروس الفاكهة (الأفوكاتو) مع قليل من زيت الزيتون. كذلك تفيد شرائح الخيار بضغطها على الوجه وحدود العين. ويعمل مزيج ثفل طحين الشوفان مع المعركونة على التلخص من الخلايا الميتة.

عندما تختارين مزيل مكياج العيون ابحثي عن نوع خال من الكحول لأنه أقل ضررا للعين. كذلك المستحضرات التجميلية السائلة أو قطع القطن المنقوعة قبل مدة مثالية للعيون. والبديل الأقل تكلفة هو زيت الطفل (بيبي أويل). لكن لا يمكنك استخدامه قبل المكياج مباشرة فهو لا يثبت فوق الزيت. ويفضل استخدامه قبل النوم.

أفضل التسريحات الحديثة

● تتسم التسريحات الحديثة بالانسيابية حيث يكون الشعر ناعما منسدلا على كتفيك. وبالنسبة لطول شعرك فقد اختفى تماما الشعر القصير وان كان يصل الى منتصف الرقبة فقط واصبح الشعر الطويل هو الموضة وبالنسبة للقصات فقد ابتعدت عن التعقيد، وتركزت حول الكاريه الطويل والمدرج عند نهاية أطرافه.

وينصح مصففو الشعر باستخدام البوستيج في حالة الشعر الخفيف مع مزجه بعناية مع الشعر الطبيعي ليبدو أكثر كثافة في حالة الشعر المتوسط الطول اما في الشعر القصير فينصحون باستخدام الجل في تصفيف الشعر ليبدو أكثر ثباتا وتألقا على ان تكون القصة كاريها أما في الشعر الطويل فأفضل التسريحات هي الشينيون مع تجميله بقطع الأكسسوار البراقة وحبات اللؤلؤ.

ع الوتر

الشاغور الاعلى ابو الكروم



* سعود الاسدي *

● تضم منطقة الشاغور الاعلى فيما تضم قرى: فراضية، وكفرعنان (هُدمتا سنة ٤٨)، وعين الاسد، والرامة، وساجور، ونحف، ودير الاسد والبعنة، ومجد الكروم، وقد اشتهرت هذه المنطقة بكثرة كرومها، من تين، وزيتون، وعنب، وصبر.. فاسم «مجد الكروم» الواقعة في مرج الشاغور (مرج الكروم) ذو دلالة كبيرة على ازدهار كروم المنطقة في سالف العصور. ومن يتجوّل في ربوع هذه المنطقة اليوم يرى بأم عينه العشرات من اشجار زيتون، ضخمة الجذوع، معمّرة «روميّة».. وتشهد كتب الجغرافية الفلسطينية على جودة زيت هذه المنطقة، وخاصة ما كان زيتونه في الاراضي الخفيفة، ذات التربة الحمراء الضاربة الى الصُفرة، وهي كثيرة، من اسفل جبل حيدر الى وادي «سلاّميه» جنوبا، وساجور ونحف، ودير الاسد، والبعنة غربا، وتحت مقام الخضر (عليه السلام) في العريض شرقيّ دير الاسد، ثم الى غربي البعنة الى «دعسة بنت النبي»، وفي محاذاة الجبل من مجد الكروم الى «قرن الحنّاوي» قرب موقع «الليّات» المطلّ على وادي السرّار.

وقد يختصر الشاغور الاعلى فيقال عنه من «السرّار الى النقّار» وفي هذا الامتداد، كثرت الكروم، اذكر منها ما ألفتُه وعرفته في دير الاسد والبعنة: كرم حسن، وكرم العلماني، وكرم الزيت، وكرم الجحش، والكرم الاحمر، وكرم القبّة، وكرم نحلة، وكرم صالح بدران..

*** ستّي زليخا والكرم الاحمر ***

ان توسّع القرى بناء، بيوت السكن اخذ يقضم الاراضي الزراعية على ضآلتها، فهذا الكرم الاحمر مثلا اصبح ضمن بيوت سكن القريتين، البعنة ودير الاسد، وقبل ان يكون موارس وقسائم كان موحدا تملكه عائلة «علي» في البعنة، وكان يخص في معظمه الشيخ محمد صالح العلي الجد.

حدّثت ستي زليخا قصة تعود الى بداية هذا القرن، الى ايام «السفربرلك» مؤدّاها:

ان الكرم الاحمر التابع للشيخ محمد صالح العلي (ابو صالح) كان كله مزروعا فولا، ولما كانت السنة سنة قلة وجوع، واحس ابو صالح، وكان رجلا هميما، وشجاعا كريما ان سكان القريتين يشكون قلة الخبز والطعام، دعا ناطوري القريتين: ابن بكريّة، وابن الرّوزش، لينادي في الناس ان الكرم الاحمر «سبيل» اي مُباح لكل عابر سبيل.. وكان الفول يومها حاملا من عيونه قرونا من كعب الجريدة الى رأسها، ومحشيا حبًا مكحلاً.. فصار الفلاحون يهبّون مع كل صباح يحوّشون منه، ويأكلون اخضر، او يشوون «هويسة» على نار البلاّن، وهو نبت شائك لاطئ بالارض، ويسمى «النّتش»، او يأخذون ما يحتاجونه منه الى بيوتهم للسلق، او للحوس، او للطبخ. وقد دأبوا على هذا حتى استحصد القمح في ايار، وانفرجت الازمة.

ثم اخذت ستي زليخا تدندن وعيناها ترغرغان وقالت:

ع الكرم الاحمر يللا نتمشّى · بكرم ابو صالح، والفول محشّى
منتلقّى فول، وفول منتعشّى · وبُكرا يفرجها ربّ المسكونا
*
ع الكرم الاحمر يللا نامّيل · وتحت الزتونه الغربيّه نقيّل
بكرم ابو صالح يللا يا غزيّل · نعمل «هويسه» وتوكّل يا عيونا

يُلاحظ ان البقية الباقية من اشجار الزيتون في الكرم الاحمر، وحاكورة «مَطّطها» والحرية، والقَصعة يغلب عليها شموخ الفروع والجذوع، ولما سألت ستي زليخا عن سرّ هذا الشموخ قالت:

الارض الظليلة يا ستي شجرها يحب النور، يحب ان يصل الى الشمس هروباً من الظلّ، ولذا يشمخ الى فوق!!

ولولا تفسير ستي زليخا لشموخ الاشجار لما عرفت سبب شموخ غابات اوروبا النائية عن سَمت الشمس في خط الاستواء!!

*** وللفلاحين كلمات ***

للفلاحين كلمات عن الرعي والفلاحة والتجارة، وهذه الكلمات اسطوانة تكررها ستي زليخا دائما:

شوف يا ستي!

الفِلاحة فَلاحة.

والسِّراحة رباحة.

والجنائن جنون.

وما في ملك الا الزتون.

والتجارة فيها ربح وفيها خسارة، لكن ربنا بارك فيها، والنبي عليه الصلاة والسلام تاجَر، وسافر من مكة لبرّ الشام في بُغر التجارة!!

*** عَ الصليب ***

تُدعى المنطقة الواقعة بين دير الاسد والبعنة «الصليب» لانها على مصلّب درب، وقبل ان تغزوها بيوت السكن والدور كانت ارض زيتون، ولما كان لهذا الموقع ذكريات. حدّث ابو قاسم علي الشيخ، وهو من اكبر المعمّرين في دير الاسد - أمد الله في عمره - قال:

«بذكر مرة، وإحنا شباب كنا نتخطّم عَ بيادر القهور:

انا لله عبد،

والمختار ابو سعيد محمود سعيد الخطيب،

واخوه حسين،

وقاسم الحاج،

وابو السعود،

والكل صاروا حياة الله يرحمهن، ويرحمنا اجمعين!! قلنا كنّا نتخطّم عَ بيادر القهور أجينا إطلّعنا لتحت عَ الصليب شُفنا خيمة كبيرة، ودخان نار، وحمير فالتة، وكلاب جعارية، وزلام ونسوان.. سألنا: لمين؟ قالوا: لواحد نُوري نازل هون من يومين..

قلنا: رُوحوا تانسلّم عليه، في الطريق عاد، وإحنا ماشيين، صرنا نمزح مع بعض، قال المختار:

بشارطكو شرط برضا: إنّو النّوري لما بدّو يضيّفنا، وبدير علينا القهوة، رايح يبدا فيّي.

قللو اخوه حسين:

لأ يا خويا مش رايح يبدا فيك، شو هو النّوري صار نايم في المَدل، وعارف انك مختار، رايح يبدا فيّي، لاني اكبر منك، وأجهم، وانت أزغر، وأقصر، ومدلّس.

قال قاسم الحاج:

ليش هو النوري أهبل، انا حاج، وابن حاج، وزلمة صايم مصلّي، ومبيّن عليّ، واول فنجان قهوة بتقدّم الي.

قال ابو السعود:

يا جماعة روقوا للحظ، انا بدون مؤاخذة زلمة رايح وجاي في البلاد، وبحدي في الاعراس، والناس بعرفوني من الزغير للكبير، وللمقمّط بالسرير.

قاللو المختار:

والنَّوَر بعرفوك كمان؟!

قللو: والنّوَر يا سيدي بعرفوني.

وبالاخير قلت انا:

اسمحوا لي اقوللكو انكو كلكو غلطانين في الحساب، انا زلمة تاجر والنّوري بفهمها عَ الطاير!!

وبلا طول سيرة، فُتنا وسلّمنا عَ النّوري، لقيناه ابن ناس أكارم، ومبيّن عليه من هندامو من روس الأوادم!!

إسّا عاد لما قعدنا عَ الفراش، الزلمة ولّع النار في النُقرة، وحطّ عليها المحماصة، وصار يحمّص قهوة، ولما استوت الطبخة نزّلها تابردت، وجاب جرن القهوة، وقعد يدقّ، وعالى الغَلاية، ولما القهوة، بالصلاةُ عل النبي، جهزَت، صبّها في الفناجين، وحمل الصينية، ووقف قُدامنا، مثل هيك، وقال:

انا يا جماعة الخير! زلمة غريب بلاد، والمثل بيقول: الغريب اعمى، وانا بدون مؤاخذة، ما بعرف مين المقدّم فيكو، وانتو الكل غانمين، ومن هيك بدّي اترجّاكو تعزموا عَ بعضكو، وتعزّبوا حالكو بحالكو! وحط صينية القهوة عَ الارض قدامنا، ورجع، وتربّع عَ الطرّاحة مطرحو!! وقعد يلفّ سيجارة.

إسّا عاد، شو بدك بالنتيجة؟ صرنا نتعازم.. تفضلوا! تفضّل انت!! لأ انت!! ولما ما قبل حدا منّا يوخذ القهوة قبل الثاني، قام النّوري، وحمل الصينية وقال:

ما دامكو بتتعازموا، وما بدّو حدا منكو يمدّ ايدو قبل الثاني، المثل بيقول: إبدا بالقهوة عن يمينك، ولو كان عنتر عن شمالك!!

ولأجل الصدف كان المختار قاعد عَ اليمين، وبعد عزيمة كربه، تناول ابو السعيد اول فنجان، ولما حطّو عَ ثمّو، وشفط اوّل شفطة منّو ضحك، وقال: مش قلت إلكو؟!

قللو اخوه حسين ابو كاظم: شو بدّي اعمل؟ شنصك قوي، أجت قعدتك عَ اليمين! وضحكنا..

ولما فهم النوري القصة ضحك، وقال: الحمد لله اللي ما عملنا شي تتنقدونا عليه.. ولما شربنا القهوة، وبدنا عاد نقوم، حلف النوري يمين بالثلاثة ما منقوم الا بعد غدا، وأبّود وسبع جدود، يا اسود يا ابيض، ما فكّش الا تا حطّ غدا، وصارت بعدين بيناتنا معرفة، وصرنا نتعازمه..

وصفن عمي علي لحظة ثم قال:

فعلا هاذا النوري كان شبعان أدمّنه، وسنة الثماني وازبعين لما صار الهجيج لها مع المختار، واخوه حسين، وقاسم الحاج للبنان، وقعدوا في «الغازيّة»، ومن يومها.. لا علم عنّو ولا خبر!!

(الناصرة/بير الامير)

د. يوسي بيلين: لن يبقى حتى فلسطيني واحد.. لاجئا!

(تتمة من ص ٣)

الحدود قررتها في حينه الدول الاستعمارية. وانا لا احب هذا. لكن العالم كله رسم حدوده وفق تلك الحسابات والقرارات. سوريا احتلت في حينه منطقتين اضافيتين، بقيتا معها حتى الرابع من حزيران ١٩٦٧، هما: الشاطئ المحاذي لبحيرة طبريا وفيه منابع المياه، ومنطقة الحمة.

● هذه منطقة فلسطينية.

- د. بيلين: نعم. ولا استبعد ان يطالب بها الفلسطينيون. ان موافقة رابين على الانسحاب من الجولان حتى الحدود الدولية وعلى ازالة مستوطنات يهودية، لم يكن سهلا. اعتبره امرا خارقا. وكان سيدخله في مواجهات كبرى هنا في اسرائيل. لكن الاسد رفض الاقتراح، وأصر على حدود الرابع من حزيران. ولهذا لم تثمر المفاوضات في حينه. واليوم جاء «الليكود» الى الحكم. والنهاية معروفة. انني باختصار قلق جدا في هذه النقطة. وعموما مع العالم العربي.

● وهل تعتقد ان السلام ينبغي ان يقتصر على الفلسطينيين، من دون العالم العربي؟ هذا ممكن؟

- د. بيلين: لا. ان المهمة الاسهل، اليوم حسب رأيي وتجربتي، هي في الوصول الى سلام اسرائيلي - فلسطيني متكامل. فنحن والفلسطينيون ندرك مصلحتنا المشتركة في ذلك. ومع التقدم في هذا السلام، يكون بالامكان التطور في المسارات الاخرى. ولا ننسى في هذا المجال الاردن ومصر. فهما شريكان في دفع المسيرة السلمية الى الامام.

● ها هي الحلقة تتسع: فلسطين، الاردن، مصر..

- د. بيلين: يبدو انني لم اوضح نفسي. انا مؤمن بالشرق الاوسط الجديد. لكنني ارجح كفة حل القضية الفلسطينية اولا. كما انني الاحظ بعض التشكك في العالم العربي من الدور الاسرائيلي في المستقبل. انا اريد سلاما حقيقيا وصادقا. ولكن، عندما اقول، مستعدون لتقديم خبرتنا لمساعدة العالم العربي يفهمون وكأننا ننظر باستعلاء. هذا العنصر اريد ان يزول من قاموس علاقاتنا مع العالم العربي. فعندما نحل القضية الفلسطينية ويرون اننا نقيم الدولة الفلسطينية، ستخف الشكوك وننتقل الى علاقات مبنية على الثقة والتعاون. وكما ارى فان هذه المسيرة طويلة، خصوصا وانني لست في الحكم. «الليكود» هو الذي في الحكم.

● وانت تطمح للوصول الى شراكة ما في الحكم مع «الليكود»، وحدة وطنية.

- د. بيلين: انا اطمح للتأثير على «الليكود» حتى يدفع العملية السلمية الى الامام، ومستعد لان افعل ذلك من خارج الحكومة ومن داخلها. لا افرض نفسي على هذه الحكومة.

● لكنك ترى ان «الليكود» يماطل في تطبيق الاتفاقات الموقعة حول اوسلو. فكيف تتصوره يقدم العملية السلمية. الا تخاف ان يشدكم الى الوراء، لموافقة؟

- د. بيلين: انا لا اخسر شيئا في الحوار مع «الليكود»، بل بالعكس. انه حوار مفيد جدا. وقد ينتهي الى خلاصة مفاجئة بالاتجاه الايجابي. فمع كل الاحترام لـ «الليكود»، لا اعتقد انه قادر على ان يجرني من انفي. وانا ايضا لا اريد ان اجره. انني اعتقد انني حققت شيئا في حياتي السياسية ونجحت في تحطيم بعض المسلمات في اسرائيل. فقط قبل ساعة، وانا في طريقي لمكتبك، سمعت نتنياهو يتحدث عن عرفات قائلا: «السيد عرفات». الا تعتقد ان لي بعض الفضل في ذلك؟ (يضحك). لماذا كنت نجحت في حواري مع «الليكود» بأن اقنعه بأن لا حل سوى تقسيم البلاد بين الشعبين، فان هذه خطوة بالغة الاهمية. ان تشك في هذا الحوار، لن يحدث شيء. سيكون هناك بعض التغيير.

● ولكن، لكل شيء ثمن، كما يقول نتنياهو. فما الثمن الذي تدفعه لـ «الليكود» مقابل التغيير في التعابير، فهو يثبت انه ليس معنيا بالحل. خذ مثلا موضوع الخليل..



● د. بيلين ●

- د. بيلين: انا موافق معك ان «الليكود» سيء. على هذا لا خلاف. لكن هدفنا تغييره. وحتى في موضوع الخليل، نحن قريبون جدا من الاتفاق الايجابي. والتغيير في الاتفاق سطحي جدا. وكل ما سنتوصل اليه مع «الليكود» سيكون عبارة عن تغيير في سياسته واقتراب من سياستنا. معك حق طبعا، في ان تقول، ان «الليكود» لم يفعل شيئا لدفع عملية السلام. كل ما فعله حتى الان هو الاعتراف بمنظمة التحرير واعطاء الشرعية، جزئيا، لاتفاقات اوسلو. وهذا ليس قليلا. فاذا سقط غدا من الحكم، لن يستطيع المزايدة علينا في هذا الموضوع. واذا بقي، فانه سيكون صاحب التوقيع على الانسحاب من الخليل. بعد الانسحاب من الخليل، سيكون ذلك ليكودا اخر غير الذي نعرفه.

● بماذا تشعر عندما تسمع نتنياهو يبرر كل خطواته السيئة بأنه يواصل سياسة حكومة حزب «العمل». هكذا قال عندما قرر توسيع الاستيطان، فحزب «العمل» زاد عدد المستوطنين في الضفة والقطاع بنسبة ٣٨٪ وحزب «العمل» هو الذي اعد مشروع فتح النفق في القدس وهو الذي اعد مشاريع الاستيطان في القدس وهو الذي فرض الحصار.

- د. بيلين: اشعر بأنه لا يقول الحقيقة، انما يتذرع بالحجج ليعرقل عملية السلام.

● لكنه يقول الحقيقة في هذه الحالة.

- د. بيلين: لا ادري الى اي مدى يقول الحقيقة. هناك امور كثيرة غير صحيحة يقولها.

● اجبني عينيا على قضية الاستيطان وزيادة المستوطنين، على الاقل.

- د. بيلين: لا ادري ان كان الرقم ٣٨٪ دقيقا.

● هذه احصائيات اسرائيلية رسمية. وهناك من يتحدث عن ٥٠٪.

- د. بيلين: انظر. هناك الولادة الطبيعية..

● ان الولادة الطبيعية بمقاييس الهند ومصر لم تصل الى ربع هذه النسبة. فهل تريد ان تقول لي ان نسبة الولادة بين المستوطنين اربعة اضعاف النسبة هناك؟

- د. بيلين: اندري. لقد نجحت مصر في تخفيض نسبة الولادة بقدر كبير، فعلا.

● اعرف. قالوا ذات مرة ان اعلى نسبة للولادة في العالم هي بين العرب في اسرائيل. وحتى لو كانت نسبة الانجاب بين المستوطنين اليهود مشابهة، فان الزيادة خلال اربع سنوات لن تكون اكثر من ١٠ - ١٢٪.

- د. بيلين: لا استطيع ان اؤكد او انفي.

● انت معروف كانسان مستقيم، وهذه الصفة تجعلك غريبا في السياسة الاسرائيلية. وتجعلك مقبولا حتى على المستوطنين. ألم تستعمل هذه الارقام في لقاءاتك مع المستوطنين، كأن تقول لهم: حزب «العمل» هو الذي عمل على زيادة عددكم بنسبة ٣٨٪!

- د. بيلين: لنفترض ان هذا الرقم صحيح او انه فعلا ٥٠٪. فلماذا سكت العالم كله علينا؟ سكت على ذلك وعلى امور اخرى، لانه رآنا نصنع السلام. قال العالم ان زيادة المستوطنين لا تشكل خطرا، لاننا لم نقم مستوطنات جديدة. وعندما سئلنا في الموضوع اجبنا: لا تخافوا. عندما نصل الى الحل الدائم سنعالج ايضا هذا الموضوع. فنحن تنازلنا عن غالبية الضفة الغربية وقطاع غزة. ولن يكون عندنا مانع في ان تبقى مستوطنات يهودية تحت سيادة الدولة الفلسطينية، في الحل النهائي. وقد قبل العالم هذا. اما في زمن «الليكود» فالوضع مختلف، لان هناك خطرا على السلام نفسه. لذلك نعود الى العزلة في العالم العربي والعزلة الدولية.

* العرب في اسرائيل والجسم المانع *

● اود ان ننتقل الى موضوعنا الاخير، المواطنين العرب في اسرائيل والاحزاب التي تمثلهم. خلال حكم حزب «العمل»، في السنوات الاربع، كان هناك جسم مانع ضم الجبهة والحزب الدمقراطي العربي. هل ما زلتم تذكرونه؟ لماذا لم نشهد اي نشاط له في المعارضة؟ لماذا يتجه حزب «العمل» للتفاوض مع «الليكود»، وينسى حلفاءه السابقين؟

- د. بيلين: موافق معك في هذه النقطة.

● من الذي يتحمل المسؤولية عن ذلك، فأنتم الحزب الاكبر. وانت احد قادة هذا الحزب البارزين!

- د. بيلين: المهم ليس من هو المسؤول. هناك امور كثيرة لا تعجبني في حزب «العمل» وممارساته، خصوصا قبيل الانتخابات وبعد الانتخابات. ولهذا السبب قررت ان أرشح نفسي لرئاسة الحزب بعد شمعون بيرس. وانا مصمم على معالجة العلاقة مع الجماهير العربية في اسرائيل بشكل جذري وصريح. وقد بدأت في اجراء لقاءات مع اعضاء الكنيست العرب ومع الجبهة والقائمة الموحدة. فأنا اعتقد ان من الضروري اقامة ادارة مشتركة لكتل المعارضة على نسق ادارة كتل الائتلاف.

● انت تعرف ولا بد، ان رؤساء السلطات المحلية العربية معتصمون في خيمة احتجاج امام مكتب الحكومة، منذ ثلاثة اسابيع احتجاجا على سياسة التمييز. لماذا لم نشهد تضامنا جديا من حزب «العمل» معهم؟

- د. بيلين: انا قمت بزيارتهم وتكلمت مع وزراء بخصوص الموضوع.

● اقصد تضامنا واسعا. اتصور لو وقف في الخيمة، ولو ليوم واحد، جميع اعضاء الكنيست من المعارضة (٥٢ نائبا).

- د. بيلين: هذا اقتراح معقول، لم يخطر ببالي. انظر. حزب «العمل» عمل كثيرا، خصوصا في زمن الحكومة السابقة، من اجل المواطنين العرب في سبيل المساواة. انا شخصيا ساهمت في الغاء التمييز ضد الاولاد العرب في مخصصات التأمين. لكن ما زال الكثير مما نفعله للمستقبل.

● كيف تنظر الى مستقبل الجماهير العربية في اسرائيل؟

- د. بيلين: هذا السؤال يشغل بالي كثيرا. انا لست مقتنعا بأن التسوية السلمية ستحل بشكل اوتوماتيكي مشكلة انتماء العرب في اسرائيل لدولة اسرائيل. وانا اعرف الوسط العربي عندكم عن قرب. وهناك مشاكل. هنالك قضايا الميزانيات. وهناك قضية الدمج في المجتمع ومؤسسات الدولة. هناك شركة حكومية مثل شركة الكهرباء، حتى الان تغلق ابوابها امام العمال العرب، ولا احد يستطيع تغيير موقفهم. وتوجد مشكلة التطوير. جرى تغيير في بعض القضايا بل في الكثير من القضايا وما زال هناك الكثير. وهذا غير مريح. وحتى لو قدمنا كثيرا، سنجد مشكلة في النشيد القومي للدولة، الذي لا تستطيعون انشاده بسبب مضمونه الصهيوني. وكذلك علم الدولة. بل حتى في تعيين سفراء عرب للدولة، توجد مشكلة. وقد اعتذر الكثيرون. لكن الامور تسير رويدا رويدا.

● لماذا لا تبدأون من النهاية. حزب «العمل» يعلن انه يرى العرب في اسرائيل جزءا لا يتجزأ من الدولة وان الدولة تصبح لجميع مواطنيها. ومن هذا المنطلق يكون قرار بالمساواة الحقيقية. وكل شيء يخضع فيما بعد لهذا القرار.. بدءا بتغيير القوانين العنصرية وحتى الميزانيات؟ حظر التمييز تماما.

- د. بيلين: لن اخفي عنك انني لا استطيع القبول بالشعار دولة لجميع مواطنيها. فهذه هي الدولة اليهودية الوحيدة في العالم. ولا اريد لها ان تكون الا دولة يهودية. ولكنني احارب بكل قوتي وبكل صدق، من اجل تحقيق المساواة الكاملة، اقول الكاملة، في كل مجالات الحياة للمواطنين العرب. انا اؤيد بكل قوتي اقامة دولة فلسطينية، ولا اريدها لكل مواطنيها، رغم انني اؤيد عيش يهود في حدودها.

● لكن هذا مطلب له اساس عند المواطنين العرب. وانت، كما ارى، تتفهم مطالب وحاجات مجموعات كبيرة. تتفهم اللاجئين، وتتفهم المستوطنين، وتتفهم الاحزاب الدينية، وتتفهم «الليكود». لماذا لا تتفهم هذا المطلب من المواطنين العرب في اسرائيل؟

- د. بيلين: انا لا اهرب من المواجهة. ولا احب اللف والدوران. انا انسان يرفض التمييز ويحاربه فعلا وبقوة. لكنني في موضوع الدولة اليهودية، لا استطيع قبول اي توجه اخر. فهذه هي الدولة الوحيدة التي نقيم فيها ثقافة يهودية.

انظر. انني افهم المطلب العربي. افهمه ولا اقلل من شأنه. لكنني لا ارى نفسي قادرا على قبوله. على الاقل في الوقت الحاضر. ربما يكون شيء اخر في المستقبل. لا ادري.

الحزب الشيوعي الفرنسي .. الى مرحلة جديدة!

(تتمة من ص٧)

في فرنسا، ليس كقوة ضاغطة وانما كقوة رائدة ومؤثرة.

الأمر الثاني الذي لفت الانتباه هو شكل الاعداد للمؤتمر. في هذه المرة لم يعد الحزب مسبقا رؤوس اقلام المؤتمر، وانما طلب من القاعدة الحزبية، من الكوادر في المناطق والفروع والخلايا تحديد الاسئلة والقضايا التي يعتقدون انه من واجب المؤتمر الرد عليها.

وقامت لجنة خاصة تفرعت عن اللجنة المركزية وقوى من خارجها بتجميع آلاف الاسئلة التي جمعتها الفروع على مدار عام كامل وصياغة (٢٠٠) قضية جوهرية يجب تقديم الاجوبة عليها. ومن ثم تمت صياغة خمس قضايا اساسية حول تحويل المجتمع الفرنسي وماذا يحتاج؟، تحويل الحزب تجاوبا مع دوره في التأثير على تحويل المجتمع؟ قضية حياة الحزب الداخلية، قضية الشيوعية اليوم، ماذا تعني وماهو شكلها وقضية الحضارة العصرية؟

على صعيد مناقشة قضية الحزب، لم تطرح مثلا قضية تسميته. الحزب الشيوعي الفرنسي قال ان هذه القضية اصبحت وراءنا، وان هذا الحزب رغم كل الاخطاء والامور التي يجب أن يتخلى عنها، هو حزب جدير بالاعتزاز بدوره التاريخي وأكد ان القضية ليست اسم الحزب وانما ماهي الصورة التي نستطيع ان نقدمها للجمهور عن الحزب الشيوعي. يجب البحث فيما اذا كانت هنالك حاجة لاجراء التغيير فيه، بحيث يصبح الحزب حاجة فرنسية لا شيوعية فقط.

وبرأيي فقد نجحوا بذلك.

كذلك يجب الاشارة الى قضية اساسية اخرى عكست توجها جديدا من قبل الكوادر، حيث جرى تنظيم حوارات ونقاشات مع كبار علماء الاجتماع والاقتصاديين والمفكرين، على المستوى الفرنسي والاوروبي وحتى العالمي، تم فيها التداول حول هذه القضايا ومحاولة الاستفادة من تحليلاتهم ورؤياهم للقضايا التي تواجه المجتمع الفرنسي، والاسهام في تحديد وجهة الحزب.

وبرأيي فقد أغنى هذا البحث طروحاتهم، حتى في القضايا التي لم يقبلوها او يوافقوا عليها، من بين ما طرحه هؤلاء المفكرون.

الأمر الأخير الذي اود الاشارة اليه، هو شكل انعقاد المؤتمر فقد عقد في قاعة رحبة، ضمت أكثر من (١٤٠٠) مندوب وأكثر من (٢٠٠) ضيف وطواقم العاملين. لكن الملفت للانتباه هو ازالة الحواجز بين المندوبين وقيادة الحزب. اذ لم تكن هناك منصة خطباء.. بل اقيمت حلقات على شكل مربعات متداخلة، وكان بامكان كل واحد ان يشارك من مكانه في النقاش، بينما يعرض نقاشه على العديد من شاشات البث الداخلي، كي يراه ويسمعه كافة الحضور. برأيي هذا الأمر خلق الشعور لدى كل واحد من الحضور، بأنه هو صاحب المؤتمر، والأمر الأساس الذي حققه هذا الأمر هو القضاء على الاغتراب بين هذا المندوب وذاك القائد الحزبي.

كل هذه الامور مجتمعة انعكست في اجواء حماسية لم أتوقعها. الشيوعيون في الفروع والمناطق التي زرناها. ابدوا حماسا بالغا للحزب ولدوره وقدرته على شق طريقه في هذه الظروف الصعبة.

من الامور الهامة التي أكدها الحزب في مؤتمره ان اجوبته التي يطرحها ليست ملزمة لأحد. فهو رغم انه أكبر الاحزاب وأكثرها تأثيرا، لا يدعي دور الحزب القائد في الحركة الشيوعية. هم على استعداد للتعلم والاستفادة من تجارب الاحزاب الاخرى دون ان يأخذوا لانفسهم الحق بتوجيه هذه الأحزاب».

* «الاتحاد» – هل يرجع ذلك برأيك الى المتغيرات التي شهدها العالم الاشتراكي؟

– مخول: واعتقد ان ما ذكرته حتى الان هو تعبير عن ذلك. وهذا ينعكس في الرجوع الى القواعد والقضاء على الغربة التي يمكن ان تنشأ بين القاعدة والقيادة نتيجة عدم مشاركة القاعدة مباشرة باتخاذ القرار. واعتقد ان كل المستجدات التي اتبعها الحزب الشيوعي الفرنسي في مؤتمره كانت محاولة لاستخلاص العبر مما جرى في العالم الاشتراكي سابقا. المحاولة لأن يكونوا فرنسيين أكثر ويؤكدوا على قضية المواطنة، والقضايا الاوروبية التي تخص جمهورهم، وتحليلها بمصطلحات جديدة وملائمة للمستجدات في الواقع المتطور، كانت برأيي نوعا من قرار عدم أخذ كل ما كان وكأنه حقيقة مطلقة تصح في كل زمان ومكان. فهم يغربلون الأمور، ويأخذون ما يصح منها لمسايرة التطورات الدولية.

وبرأيي ايضا انهم كانوا يتعلمون من هذا الدرس كي لا ينعزلوا عن مجتمعهم الفرنسي وكي يطرحوا الاجوبة العينية للقضايا الأساسية، مستفيدين بذلك ليس فقط من التحالفات مع قوى أخرى وانما مع فكر آخر، حتى لو لم يكن ماركسيا – لينينيا. يكفي ان يكون هذا الفكر تقدميا يساريا لكي يتم التعامل معه بجدية وتبني ما يصلح منه لنضالهم داخل فرنسا».

* «الاتحاد» – ذكرت أنك شاركت في المؤتمر وفود عديدة من مختلف الدول والتنظيمات اليسارية والحزبية، من خلال لقاءاتك مع هذه الوفود، ماهي أبرز القضايا التي لفتت انتباهك؟

– مخول: «التقيت على صعيد المؤتمر مع اعضاء أكثر من (٣٠) وفدا، وكان مثيرا للاهتمام اللقاء الذي جرى لطرح قضايا القارة الافريقية، وبشكل خاص ما يجري في مركز افريقيا. احدى المفارقات التي شدت انتباهي المشاركة في لقاء للوفد البوروندي والرواندي، حيث يجري هناك ما يوصف بتصفية شعب على خلفية الصراع بين قبائل «الهوتو» و«التوتسي». أردت سماع تحليل الافريقيين لهذه الحرب، وتبين ان ما يجري هناك حقيقة هو صراع فرنسي – امريكي على زائير. اما بالنسبة للقبائل، فقد تبين انه لا يوجد هناك شعبان او قبيلتان. اصلا كانت هناك مملكة واحدة هي «هوتو»، لكن الاستعمار البلجيكي اطلق اسم «التوتسي» على كل من يملك عشر أبقار وأكثر. هي بالأساس قضية طبقية حاول الاستعمار من خلالها استغلال «التوتسي» للسيطرة على الشعب.

من اللقاءات الهامة التي أجريتها على صعيد المؤتمر كان اللقاء مع وفود الاحزاب الشيوعية في افريقيا وآسيا وامريكا اللاتينية والشرق الاوسط. وجرى على صعيد المؤتمر التداول مع احزاب حوض البحر المتوسط للعمل على تنظيم اجتماع مشترك لمحاولة طرح الاجوبة على اسئلة كثيرة بخصوص الوضع الجديد على المستوى المتوسطي».

* «الاتحاد» – امام كل هذه الانطباعات، ماذا ترجع الى الحزب الشيوعي الاسرائيلي؟

– مخول: «بأمر اساسي، ان يكون حزبا شيوعيا اسرائيليا، يجترح دوره السياسي والاجتماعي من خلال تحليله العميق والعيني والعصري والآني لبنية المجتمع الاسرائيلي. وتعميق الانفتاح على بلورة المفاهيم الجديدة لاعطاء الاجوبة على الاوضاع والتطورات الجديدة. والتركيز على رؤية العلاقة بين السياسي والاجتماعي في تطور المجتمع الاسرائيلي. وانا اعتقد ان حزبنا قادر، بطريقته هو على مثل هذا التحليل، اعتمادا على اسلوب تفكير علمي وعلى قواعده وعلى الانفتاح على الفكر والتحليل التقدمي لقضايا المجتمع في صفوف اليسار الاسرائيلي».

الاضراب الكبير

(تتمة من ص٨)

اما الوزير مريدور فقال: «كيف لا يحترمون القانون. الهستدروت بالغت جدا وكسرت جميع الوسائل والانماط. مسؤولية ادارة الاقتصاد تقع علينا ولن نتردد باتخاذ قرار باصدار اوامر الزامية».

وقام رئيس الهستدروت وطاقم قيادة الاضراب بالتصدي لهذا الهجوم الشديد والظالم، وركزوا في اقوالهم على توضيح حقيقة من ينتهك القانون واتفاقيات العمل، والدفاع عن حرية الاضراب، والدفاع عن حقوق العاملين، لكن رئيس الحكومة عاد وبق الحصوة وحاول الاستهزاء من موضوع تقليص نصف النقطة الضرائبية للمرأة العاملة، وقال: «لن ندير مفاوضات مع المسؤولين في الهستدروت، حتى يتوقف الاضراب الفوضوي. لا احد في الجمهور يفهم كيف بالامكان اعلان اضراب في كافة المرافق الاقتصادية بسبب نصف نقطة تزكية، هل هذه هي المسؤولية الوطنية؟ هل هذه هي الحياة الجديدة في الهستدروت؟.. الهستدروت عادت لتكون سياسية، هذا تصرف فظ.. انا اومن بمكانة منظمة عمال في مجتمع دمقراطي، لكن لمثل هذه الهستدروت لا يوجد مكانة في مجتمع دمقراطي».

في قول رئيس الحكومة هذا مفاهيم دكتاتورية واضحة، فهو يريد منظمة عمال تابعة للحكومة تتلقى الاوامر منها، وفي حالة خروجها للنضال دفاعا عن المرأة العاملة وجمهور العاملين فلا وجود لها.

وبالمقابل قال رئيس الهستدروت، «من يعتقد بأن هذه الدولة هي ملك للحكومة، والاقتصاد هو ملك لها ولارباب العمل، فهو مخطئ، نحن نعرف ان حكومة تذهب واخرى تأتي وصاحب عمل يذهب وآخر يأتي، لكن من يبقى دائما هم العاملون، وهم اصحاب المكان وليس غيرهم، ومن حقهم الدفاع عن الاجر ومكان العمل».

● خيميكاليم حيفا – اعتقال شني ●

منذ فجر يوم الاحد ٩٦/١٢/٢٩ تقرر التوجه الى حيفا، بوفود عمالية من مختلف انحاء البلاد، ومن اماكن العمل في حيفا، لاجراء اجتماع تضامني كبير مع عمال المصنع المضربين منذ اكثر من شهر، احتجاجا على قيام الادارة بالغاء اتفاقيات العمل الجماعية من طرف واحد، وفصلها (١٢٥) عاملا بشكل فظ وبالرغم من مطالبة العمال والهستدروت بالدخول في مفاوضات الا ان الادارة رفضت التفاوض، وقامت بالغاء الاتفاق.

منذ ساعات الصباح الباكر انطلقت قوافل العمال نحو خليج حيفا، الاف العمال وصلوا الى منطقة المصنع، المعنويات عالية جدا، البسمة على الوجوه، الفرح، الجميع يتحدث عن نجاح الاضراب، عن اهمية التضامن العمالي، «لن نسمح لهم بكسر شوكة النضال والتضامن.. لن نترك زملاءنا في حيفا – خيميكاليم لوحدهم، واذا كسروا هنا.. نخسر المعركة»، «شلومو شني ليس لوحده»، وعندما صعد شلومو شني، رئيس قسم التنظيم المهني الى المنصة، ارتفع الهتاف، هتاف الاف العمال، دعما وتأييدا له، وقالوا: «لست وحدك – كلنا شني» والشرطة تحيط بالمكان.. فرئيس قسم التنظيم المهني، مطلوب للمحكمة، بناء على امر منها.. فهو متهم بالاضراب من قبل الحكومة وارباب العمل، وبعد ان انهى اقواله ونزل عن المنصة، كان المنظر مثيرا. الشرطة نقضت الاتفاق، فقد كان مقررا ان يتجه شني مع رئيس الهستدروت بيرتس وقافلة سيارات لتسليم نفسه لمحكمة العمل في تل ابيب، لكن قائد شرطة زبولون قام باعتقاله فورا. وبعدها لاحق العمال سيارات الشرطة حتى المركز وحاولوا اقتحامه مطالبين باعتقالهم جميعا بدلا من شني او معه. واضطرت الشرطة الى نقل شني ومعه بيرتس الى محكمة العمل بتل ابيب، وكرد على هذا الاجراء تم تصعيد الاضراب بشكل علوي، وكانت الضربة قاسية لنتنياهو ورهطه من ارباب العمل، والخسائر ارتفعت، وبعد جلسة مطولة في المحكمة اطلق سراح شني في الليل، ولم يثبت ادعاء ادارة سلطة الموانئ، لكن اصحاب العمل واصلوا هجومهم القضائي، محاولين تفريغ اتفاقيات العمل وعلاقات العمل من مضمونها، وتوجهوا بطلب اخر لالغاء الاضراب، ورفض طلبهم هذه المرة، وتوجهوا الى محكمة العدل العليا، واستمرت المعركة. وفي الهستدروت وضعت الخطط من اجل توسيع دائرة الاضراب تشمل مرافق اخرى.

● اجتماع مطوّل.. ولقاء مع وزير المالية ●

الطاقم القيادي للاضراب، عقد اجتماعا مطولا، ليلة الاثنين، بدأ في مقر الهستدروت في تل ابيب، واستمر في الكنيست، وخلال الاجتماع في تل ابيب، وصلت دعوة الى رئيس الهستدروت لعقد اجتماع مع وزير المالية مريدور، وتم الاتفاق على ارجاء اتخاذ القرار حتى انتهاء الاجتماع، وكيفية تطور الاحداث في الكنيست بالنسبة لقانون التسويات بركباته، والذي كان حجر زاوية لنشوب النزاع.

الاجتماع مع مريدور فشل، لكن في عملية التصويت على الغاء نصف نقطة التزكية الضريبية للمرأة العاملة، تم اسقاط اقتراح الحكومة، وكانت الهستدروت خلف هذا الانجاز الكبير. وبعد مشاورات مكثفة تم الاتفاق على رفع الاضراب، واستمرار التشويشات في الموانئ البحرية، خاصة وان الحكومة تراجعت عن موقفها المتعنت، وتم تشكيل لجان مفاوضات لتقوم ببحث مختلف المطالب التي تقدمت بها الهستدروت، لحماية العاملين، والغريب ان الحكومة كانت قد رفضت هذا الاقتراح منذ البداية، وحتى تجدد التفاوض.

وعليه تم وقف الاضراب حاليا، والابقاء على [illegible] من التشويشات في الموانئ البحرية، في ظل وجود معنويات عالية جدا لدى العمال، ولما [illegible] الانجاز الاساسي كان ولا زال [illegible] الوحدة التضامنية الى صفوف العمال وطاقتهم [illegible] على استعماله للمعركة بلا هوادة، لان سكين التقليصات موجه الى نحور الجميع، «ولا حياد في جهنم» كما يقول المثل.

● الكفاحات لم تنته بعد! ●

علينا القول بأن الكفاحات العمالية لم تنته بعد، ولا يعني تشكيل لجنة مشتركة للتفاوض، انتهاء القضايا المختلف عليها، فقانون الخصخصة وبرامج الحكومة في هذا المجال ما زالت قائمة، وهي تعني ضربا للانجازات العمالية، والحقوق ولفصل عشرات الاف العمال، وموضوع الغاء اتفاقيات العمل الجماعية والمس بها ما زال قائما، وبرامج الحكومة المختلفة لضرب الحقوق العمالية ما زالت قائمة ايضا، لهذا بالامكان وصف الوضع الحالي، بالهدنة لا غير، وحتى لو تم التوصل الى تفاهم معين مع الحكومة، فسوف يبقى قائما امر استعمال أروقة المحاكم من قبل الحكومة وارباب العمل، كوسيلة لاستصدار اوامر تلغي علاقات العمل، وحرية التنظيم النقابي، والاضراب، وتنفيذ اتفاقيات الاجور وغيرها، ولن تهدأ الامور في هذه الحالة، لان مشاريع الخصخصة الحكومية وبيع القطاع العام لاصحاب الرساميل، سوف تؤدي الى ما ادت اليه في «حيفا خيميكاليم» وغيرها، ففي الوقت الذي يدعي فيه اصحاب المصنع بأن هناك خطرا على وضعه، نجد ان الادارة قامت باقتناء سيارة خاصة للمدير العام بتكلفة تزيد عن (٣٥٠) الف شيكل.

● الهستدروت تعود لنفسها ●

البروفيسور ابراهام فريدمان، رئيس معهد القدس للابحاث الاسرائيلية قال ان الايام الاخيرة اعادت للهستدروت مكانتها في المجتمع الاسرائيلي.

ودعا فريدمان الحكومة الى «انتهاج استراتيجية التفاوض مع الهستدروت وليس تحويل هذه الازمة الى محاولة لعرض العضلات، فخسارة الحكومة ستكون فادحة وواسعة واكثر من خسارة الهستدروت».

وأكد فريدمان ان هذا الوضع اعاد للهستدروت مكانتها – رغم مشاكلها الداخلية – في المجتمع الاسرائيلي كقوة قيادية للعاملين. واجمع المراقبون ان رئيس الهستدروت عمير بيرتس استطاع قيادة العاملين بشكل جيد في هذا الكفاح الهام.

وفي النهاية نقول لرئيس الحكومة نتنياهو بصريح العبارة: لغة التهديد والوعيد لن ترعبنا، لن ترهب جمهور العاملين والموظفين على مختلف مهنهم، وحتى لو ثبتت باستصدار قرار من احدى المحاكم، بأن نضالنا هو «دعوة للتمرد» على حد تعبيرك، فهذا القرار لن يخيفنا، لاننا ندافع عن حقوقنا المعيشية، عن انجازاتنا العمالية وعن لقمة العيش الكريمة، وحقوق القاعدة [illegible] من كل [illegible] عن مكان العمل. واذا اردت بيع المرافق الاقتصادية [illegible] لن اوصلك الى سدة الحكم من اصحاب الرساميل [illegible] التي اعتقدتها.

ليس للوجه الكشر

● بقلم: د. ادوار الياس ●

غمزات!

* يحمل الذكي، فوق كتفيه، رأساً كبيراً وفماً صغيراً. اما الغبي فبالعكس.
* بعض ما يخترق طبلة الاذن ينبعث مرارة على طرف اللسان.
* عند المنعطفات التاريخية تزدهر السخرية السياسية.
* حينما خلق خالق المخلوقات «اليمين» و«اليسار» وضع في يد كل منهما «معجونة الحماقة». فأسرع الاول وحولها الى قنابل انشطارية. اما الثاني فهرع وحولها الى مفرقعات ضوئية.
* اذا كانت القهقهات الجافة من صفات الاغنياء فان الضحكات البريئة من شيم الفقراء.
* السخرية سلاح سحري وهبه المتحكم بالسماوات للمستضعفين على الارض.
* لا تَستَطيب الحمير سوى مشتقات الشعير.

من اقوال الشعوب!

[illegible]

نشازيات!

* بعد ان انتهت عصافير الكرمل من فركة حواجبها وتمشيط ريشها، وقبل ان تدير الجارة الفاجرة «نجمة الفجر» اسطوانة لسانها المخدوشة عند ذبذبات صوت صباح: «بكرا بتشرق شمس العيد/ وبتبشر بنهار جديد»، وترد عليها جارتها «كحيومة الثرثارة»، من تحت منشرها:

– شكري بحواجبك، يا غشيمة، وبدلا من الاغاني الفاضية تعلمي الحكي والسير الصحيح.

وبعد هذا، وقبل ذاك، ومخافة ان ترد جارته الفاجرة «نجمة الفجر» على جارتها «كحيومة الثرثارة»:

– شبي غسيلك الوسخ عن عين الرايح والجاي، خصوصا ذاك القميص الذي بهت لونه من كثرة تقمصه للالوان، يا من لا تعرفين الحكي وتتلركشين في مشيتك.

وقبل هذا، وبعد ذاك، ومخافة ان يتشريك في مشاريعه الآنية والمستقبلية، اسرع مسعد اسعد الديراوي الى التدثر بهيبته والتشنق بشهامته ونزل، بدون عكازة العيد على وادي النسناس للتقهون مع مختار الوادي موريس شحادي وتابعه زوزو جبران الحيران داخل مضافة الاعتصام امام «سوبرماركت» ام الياس الديرحناوية للثمار البلدية، مقابل فرن والد الشاعر احمد دحبور الذي اصدرت السلطات الاسرائيلية، «ابوتروبوس حقوق الانسان»، امرا يمنعه من زيارة مولوده ومسقط رأسه الحيفاوي لمدة ثلاثة اشهر، بحجة اختراقه لحدود تصريح المكان والزمان الدمقراطيين.

وامام مطعم «بلعوس – بلعوس» تدركم الديراوي بشخص «مقروص المعقوص» مدللا: على اونو، على دوي، على تريه.. فتحنا المزاد.. مين قال انا؟ مين زاد؟

فسأله عمّا اقام بسببه المزاد، وكان الجواب:

– دفاتر جدي العتيقة، السمينة بدسمتها النصائحية عن جدوى التمسك بالاخلاق السامية الحميدة، من الصدق حتى الاستقامة، مرورا بالفضيلة وعمل الخير، بعيدا عن الحقد والحسد.

فقال الديراوي، مندهشا:

– ولماذا تبيع هذه الثروة التي لا تُخمّن ولا تقدّر بثمن؟

فرد «مقروص المعقوص» بكلام لا يجيد صياغته سوى العاطل عن العمل:

– حسبي الله ونعم الوكيل بدفاتر جدي وحكمها التي حولتني الى شخص فقير لا يملك شروى نقير. فبعد ان عملت بالفاعل وفعل الخير لسنوات عديدة وعدة اشهر، لم يطلع لي من الابريق الا زنبوعته ودين ثقيل في بنك «العمال» قاعد على قلبي مثل قفة الهم. ومنذ ان استرخصت اللحمة وندمت عند المرقة، وحدث هذا في السنة المنصرمة، لم تتوقف معدتي عن الولولة مثل القطط التي عضها الجوع. ورجائي ان لا تُسمعني ما كرره عابرو السبيل: طوّل بالك واستهد بسبحان العليم. وتكون مشكورا اذا تركتني في وجعي وسترت، لان الرب الستّار يستر على من يستر.

ولان الديراوي تلبّك وتبلكم ولم يعرف كيف يرد على شكوى «مقروص المعقوص» واصل مسيره، بدون ان يبصق لفوق، لان الايام علّمته ان من يبصق الى فوق تسقط البصقة على رأسه.

وعلى الرصيف، مقابل محمص البزورات المقابل للنصب التذكاري لمطبعة «الاتحاد» التعاونية، اسكنها الله فسيح جناته، تصبّح الديراوي بتابع المختار الحيران الذي كان ساجدا يتلو صلاته:

– «واحد صلى في الكنيس/ وثاني صلى في الجامع/ ثالث صلى في الخلوة/ ورابع في كنيسة خاشع/ كل واحد صلى بمطرح/ ما بتفرق عند السميع/ صلّ مطرح ما بدك/ الله واحد للجميع».

وبعد ان مسح دمعتيه، وطلب الرحمة للمفقودة الغالية، انتصب تابع المختار على طوله، في موقع سجوده، وبصق على الاهمال وبعزلة المصاري واللهط، واختتم صلاته بنشيد الاناشيد:

– «عمي بو مسعود/ عيونه كبار وسود/ بياكل ما بيشبع/ عمي بو مسعود/ شو افطرت اليوم؟/ عمي بو مسعود! افطرت خمسين بيضة/ وشربت برميل حليب/ و١٦ صحن مربا.. وبعدني جوعان».

وعند «بعدني جوعان» هذه، ومخافة ان يُلهط في الدوكة، اوسع الديراوي فحجاته، نزولا.

وامام مضافة المختار شاهد ابن شحادي يضرب عينيه ذات اليمين وذات الشمال وهو يتمتم:

– دائما، لا بد من وجود شيء ما في مكان ما ولسبب ما.

وردا على استفسار الديراوي عن سبب اقفال دكان «ابو الاصابع الذهبية» بالشمع الاحمر، اجاب المختار:

– صحيح ان «ابو الاصابع الذهبية» كان خبيرا بفحص الكنادر والتمييز بين التركي والايطالي منها، لكنه كان غشيما في المتاجرة بها، وتورط في الديون. ولانه تورط تحول الى تجارة الجملة بالافكار، بدون ان يأخذ بعين الاعتبار ان لكل فكرة سعرها. فغاص في الديون حتى عنقه. وجاءت دائرة الاجراء وصادرته.

فحمد الديراوي ربه الذي الهمه بالتوقف عن المتاجرة بالبطاطا، قبل ان يشي به احد «كبار» الصحفيين العرب علانية على الاثير الاسرائيلي، ويتهمه بتلقي الدعم المالي السري من وزير الثقافة الفلسطينية ياسر عبد ربه.

وبعد ان حمد ربه، جلس الديراوي بجوار المختار وطلب منه ان يفتح الترانزيستور على

صوت النشاز!

وقبل أن يحرك المختار مؤشر المذياع، اقتحم تابعه الحيران بوابة المضافة القائمة في الهواء الطلق مثل الزوبعة، وقال:

– اعلنت اذاعة «صوت اسرائيل من اورشليم – القدس» التي ينشر عبرها «صوت الدولة» درر معشوقته «هتسوفيه» صحيفة المتدينين الاستيطانيين، ان المدعوة ليمور ليفنات، الرابخة على زنار وزارة الاتصالات، استصدرت من وزير الداخلية ايلي سويسا امرا عسكريا يقضي باغلاق اذاعة النشاز، بحجة انها شاركت في الاضراب الهستدروتي العام.

فخبط الديراوي على كفه وعقّب:

– حاكمك ظالمك..!

وعند حاكمك ظالمك رن البيليفون الخلوي في جيب المختار. فسحبه وفتحه وما ان سحبه وفتحه حتى انطلق صوت فواز النشاز سائلا عن

العدالة!

فانشغل المختار ابن شحادي بضرب عينيه ذات اليمين وذات الشمال، متمتماً:

– دائما، لا بد من وجود شيء ما في مكان ما ولسبب ما.

ولان المختار انشغل في البحث عن الاشياء في اماكنها، استلاوح البيليفون الخلوي وقال بدفاشة:

– هات يا نشاز ما عندك، ولكن بايجاز.

فقال فواز النشاز باقتضاب:

– اتكلم من منجرة ناجي النجار الذي سمح لي باستعمال تليفونه، بعد ان فزعت له وساعدته في تجهيز التوابيت التي طلبتها السلطات المحلية العربية لتجنيز العدالة الاسرائيلية، وبالامارة! فان زوجته المشروقة وفيقة العيروقة حرقت بصلة طبخة المطبوخة. وسؤالي هو:

–اين العدالة في ان يعاقبني المدير الجربان، اللي يكثر من الحكاك والضرب بعصا الخيزران، خلال امتحان «طبيعة الحيوان» الشفهي، وهيك.. دب دبعك العافية.. وبدون احم او دستور، لانني تنصحت واجبت، من دون تلاميذ الله كلهم، على سؤاله:

– ما هي المطالب الحيوانية الثلاثة التي لو سمعت بها ضفادع النهر لنطت من القهر؟

ولانني اجبته على سؤاله، والحديث ما زال لفواز النشاز، سلخني بخيزرانته واخذ يفلتق ويسب.

وردا على سؤال تابع المختار الحيران حول المطالب الحيوانية الثلاثة، اجاب النشاز:

– الخيول تطلب السهوب، والنسور تطلب القمم، أما الافاعي فتطلب الجحور!

ولان الديراوي كان منصتا واستمع، سأل النشاز:

– وبعد ان سلخ الجربان جلدك بالخيزران، بماذا اجبته؟

فأطلق فواز النشاز تنهيدة الشطارية وقال بحرية:

– لم اجبه، باعتبار ان قلة الرد رد.

فرد الديراوي:

– عفارم عليك.

نادر الأتاسي يروي سر اختفاء فيروز!

* نعم.. دريد لحام ومحمد الماغوط على خلاف! *

* حاوره: حسام القيسوني *

□ أنا نادر الأتاسي.. رجل أعمال.. وعندي مشاريع ضخمة وشركة مقاولات كبرى وغاوي سينما وحب السينما منذ الطفولة وأصبحت الآن مهنة لي وتأخذ الكثير من وقتي.

هكذا بدأ نادر الأتاسي المنتج السوري المعروف حديثه ويواصل:

* الانتاج المشترك *

اعتقد ان العلاج الوحيد لحل أزمة السينما المصرية والعربية والعالمية هو الانتاج المشترك، وقد بدأت بالفعل دول شمال افريقيا (تونس - الجزائر - المغرب) بعمل انتاج مشترك مع فرنسا. وهذا الاتجاه بدأ يظهر في مصر من خلال يوسف شاهين وشركته التي تنتج ثلاثة أو اربعة افلام مع فرنسا، وأرى ان هذا يسهل عملية الانتاج لأن السوق العربي بمفرده لا يكفي لتغطية الانتاج وأؤيد الاعتماد على السوق الاوروبي.

* المهرجانات *

المهرجانات الفنية وخاصة السينمائية تساعد على تقوية العلاقات بين المنتجين وبين الموزعين لأنه من خلالها يتم التعارف والاتصال والتعرف على التطور الانتاجي بين البلاد.

* مهرجان القاهرة *

من سوء الحظ.. ما حدث في مهرجان القاهرة السينمائي هذا العام، لأن المنتجين والسينمائيين والنجوم والمخرجين.. كلهم تغيبوا! ولا تعليق.

وهذه الملاحظة كانت واضحة لكل ذي عينين ولم يكن هناك تواجد من الفنانين العرب لأنهم وجدوا أنهم لن يستفيدوا بأي شيء والضيوف الاجانب لم يجدوا ما توقعوه لأنهم كانوا يريدون ان يتنافسوا مع السينمائيين العرب.. ولم يجدوهم!

* الماضي *

القائمون حاليا على شؤون السينما في مصر يتحدثون كثيرا عن الانتاج الماضي وضخامته وقوته، ولكن لم يتحدثوا عن المستقبل والعلاج لحل أزمة السينما، فهم هنا يفعلون تبعا للمثل القائل «التاجر لما يفلس»!

ونحن كفنانين وسينمائيين عرب، عندما كنا نصل الى مهرجان القاهرة في السنوات الماضية في نفس حفل الافتتاح نلتقي مع المخرجين والمنتجين والفنانين، وفي اليوم التالي نتعرف على التطورات الجديدة وكل ما هو جديد في الشؤون السينمائية.

* الوجوه الجديدة *

بصراحة.. لا حياة للسينما العربية الا بالوجوه الجديدة، لأنهم الأمل، وأتمنى ان نوفق في العثور على هذه الوجوه، ولي عتاب على القائمين على صناعة السينما في مصر لأنهم يتحدثون عن الماضي كثيرا، وأرجو منهم أن يقدموا الوجوه الجديدة ويهتموا بها.. لأنها الأمل.

* دريد.. والماغوط *

الحقيقة ان الخلاف بين دريد لحام والماغوط شيء مؤسف، وأفقد السينما العربية التعاون بين عنصرين قدما أحلى الأعمال السينمائية، ونحن بصدد ان نحاول ان نجمعهما مع بعض، لكن حاليا من الصعوبة عمل ذلك، وفي الماضي كنا نقدم أعمالا ضخمة وتغطى تكلفة الفيلم عن طريق اسمي دريد لحام والماغوط، ولكن الآن ايرادات السينما العربية انخفضت.. والتكلفة ازدادت.

* الاصدقاء *

انا حاليا بصدد اعداد فيلم مع دريد لحام، وعدد من نجوم الكوميديا السوريين، اسمه «الأصدقاء»، وأجمع فيه مع دريد ابو عنتر ومن مصر سعاد نصر ومجموعة من فناني الكوميديا ونحاول ان نقدم وجبة كوميدية دسمة.. وهادفة.

وهذا العمل ليس من كتابة الماغوط ولكنه يحضر عملا آخر، ولن يجتمع على الأقل حاليا مع دريد ولكنني سأنتج لكل واحد منهما عمله على حدة.

* اختفاء فيروز *

بالنسبة لاختفاء المطربة فيروز من الساحة الفنية السينمائية، الحقيقة ان فيروز لم تستمر في السينما العربية كثيرا وقدمت ثلاثة أفلام فقط، وقد أنتجتها لها جميعا واشترينا سيناريو فيلم «هالة والملك» وكنت أريد ان أنتجه لها، ولكن لم تسنح الفرص لظروف عديدة منها مرض ثم وفاة عاصي الرحباني وظروف الحرب في لبنان.

اما حاليا.. فمن الصعب ان تقوم فيروز بالبطولة لانها اصبحت في سن لا تسمح لها بذلك، ونحن في الحقيقة من الصعب ان نجد مطربة بدلا من فيروز لأن كل المطربين يرفضون ان يقارنوا بها.

وللعلم لقد قدمت هذا العمل - هالة والملك - في الماضي مسرحيا لذلك سنطرح انتقاء البطلة بمسابقة عربية بين الوجوه الصالحة.

* مفاجأة! *

طرحت على فيروز فكرة ولكنها رفضتها، وهي أن تقوم ممثلة بالدور ثم نسمع صوت فيروز وقت الأغاني، كما حدث في فيلم رابعة العدوية الذي مثلته نبيلة عبيد وكان صوت ام كلثوم في أغاني الفيلم.

وأنا قررت ان يكون الصوت الذي يغني في الفيلم صوتا غنائيا وتباركه فيروز وسأعد مفاجأة.. وهي أن تشترك فيروز في لجنة المسابقة التي ستنتقي هذا الصوت.

* الكيف *

بالنسبة لي قدمت العديد من أجود الأفلام العربية ولكي احافظ على هذا المستوى لن أعمل الا اذا ضمنت المستوى الفني اللائق وهذا يؤكد ان عدد أفلامي قليل وهي حقيقة.. ولكنها كلها جيدة.

* فيروز *

* نادر الاتاسي *

خوليو ايغيلزياس:

أرجوك يا ولدي لا ترتكب حماقاتي

● خوليو ايغيلزياس كم هو فخور بابنه «انريك» الذي ورث عنه موهبة الصوت وقد باع البومه الأخير ثلاثة ملايين نسخة، ونال احدى عشرة اسطوانة ذهبية وثلاثا وعشرين اسطوانة بلاتينية.

ولكن خوليو لا يخفي قلقه، فهو في الوقت ذاته خائف على ولده، عاطفيا ويخشى ان ينشأ مثله على حب المغامرة الذي جعل منه دون جوان عصره لكثرة مغامراته العاطفية.. واندفاع المعجبات وتهافتهن عليه بعشرات الألوف بشكل لا يصدق، مما اضطره لأن يعيش مئات المغامرات النسائية ويقيم علاقات لم تتسم دائما بالصدق والوفاء. وهو لم يبق له من هذه المغامرات سوى الذكريات وصيحات الجماهير وهتاف المعجبات والتصفيق الحاد، أما فيما له علاقة بحياته الشخصية فلم يبق شيء اللهم سوى ست سنوات من الزواج عاشها مع ايزابيل بريسلير التي لم يجد الوقت الكافي لأن يبادلها الحب وأنجبت له ثلاثة ابناء لم يجد الوقت الكافي لأن يشهدهم يشبون ويكبرون.

ويرى خوليو حياته نوعا من الهباء المنثور، ويعترف بأنه لم يعرف أن يحب. وأنه ضيع كل ما كان يمكن أن يكون مهما.

لهذا عندما يرى اليوم ابنه يقتفي اثاره، وعندما يعرف أن امرأة قتلت لأن زوجها لم يطق ان يراها تحب انريك ولا تحبا الا من أجله، ترتعد فرائصه!

ويضيف خوليو: بكل تواضع ابني هو أجمل شاب في العالم.

ولكن خوليو الفخور بابنه وبنجاحه لن يتراجع عن رفضه ان يسجل أغنية «ديو» مع انريك، لأن من شأن هذه الأغنية اذا حصلت ان تجعل منه نجما ساطعا وتطلقه الى أعلى السلم، وهذا في نظر خوليو هو أسوأ هدية ممكن ان يقدمها له، لأنه لا يريد ان يعيش الحياة التي عاشها هو في المطاردة دون أن يتمكن من تعويض ما فات.

فصل اضافي من كتاب «شعب، ارض ودولة»

عن «القومية اليهودية» و «الصهيونية» (يشعياهو ليبوفيتش وبوعز عفرون) ٢

المقاييس الموضوعية للقومية مفتقدة في «الشعب اليهودي المعاصر»!

● ترجمة وتقديم: انطوان شلحت ●

●● تقديم

■ ننشر هنا مداخلة البروفيسور يشعياهو ليبوفيتش، التي رد من خلالها على مداخلة المفكر والصحفي بوعز عفرون المنشورة في عدد يوم الجمعة الماضي (٩٦/١٢/٢٧) من «الاتحاد». ومحور النقاش بين المداخلتين هو «القومية اليهودية» و «الصهيونية».

وتشكل المداخلتان، حسبما سبق ان ذكرنا، فصلا من احد كتب ليبوفيتش والذي يحمل عنوان «ارض، شعب ودولة». وقد صدر في طبعة رابعة عن منشورات «كيتر» سنة ١٩٩٢. وظهرت الترجمة العربية الكاملة لفصول المحاورات، التي اشتمل عليها، في مجلة «الكرمل» الفصلية الفلسطينية.

ولعل الفكرة الرئيسة التي ينشدُ اليها رد ليبوفيتش، كما سيلاحظ القارئ، متمثلة في ضرورة جوهرة النقاش حول الراهن وعدم العودة به القهقرى الى التاريخ السحيق، الى ايام شعب اسرائيل في فترة داود وسليمان، لكون ذلك الشعب لم يعد قائما ولأن ما يمكن تعلمه من ذلك التاريخ ليس محسوما وواضحا.

اما فيما يختص بالراهن فان جلّ همّ ليبوفيتش هو دفع مسار النقاش في وجهة يثبت فيها، ومعها، ان الصهيونية اخفقت في تقديم جواب واضح على مسألة القومية من ناحيتي المضمون والدلالة بالنسبة لما أسمي بـ «الشعب اليهودي المعاصر». ولهذا فان هذا الشعب بقي موجودا، بصورة عملية، فقط من ناحية ذاتية لأن المقاييس الموضوعية للقومية مفتقدة فيه.

ويخلص ليبوفيتش الى طرح مساءلات مفتوحة حول مصطلح «الشعب اليهودي المعاصر» مؤكدا انه لا يملك اجوبة واضحة عليها. وهذه المساءلات هي: بأي مفهوم هو «شعب»؟ ومن اية ناحية هو «يهودي»؟ واي مقياس قومي ينطبق عليه؟

من هذه الخلاصة ينتقل ليبوفيتش الى طرح موقفه من تعريف جوهر دولة اسرائيل. وهو الموقف الذي يلتقي فيه مع موقف بوعز عفرون الداعي الى اعتماد دستور يقرر ماهية المواطن وماهية علاقته بالدولة، لجهة تمكين كل مواطن، ولا يهم ما هو اصله، من الشعور بأنها دولته وبأنه متساو فيها مع جميع المواطنين الاخرين.

●● مداخلة يشعياهو ليبوفيتش

■ ليبوفيتش: درجنا عادة على ان نبدي الاسف جراء الخطاب الطويل. لكن في حالتنا هنا اقول بكل الجدية ان بوعز عفرون اوجز حيث كان يجدر به ان يسهب في الحديث. اقول هذا لانني لا اعرف ما اذا افلح، خلال الدقائق القليلة التي اخذها لنفسه، في ان يعرض امام الجمهور الذي لا يعرف كتابه صورة واضحة حول اسلوبه. وبانتقالي الى صلب الموضوع ينبغي القول ان الفلسفاريخية، التي يتبناها بوعز عفرون، لا تشكل بالنسبة لي جوهر النقاش، وذلك لانني معني بالمشاكل الآنية الراهنة. الشعب اليهودي في الزمان الراهن يعنيني اكثر من شعب اسرائيل في فترة داود وسليمان، لكون ذلك الشعب لم يعد قائما، بينما انا موجود وسط شعبي هذا سوية مع بوعز عفرون. الاهتمام الكبير بالاركيولوجيا – او بالتاريخ بمدى ما نتعلمه من الاركيولوجيا – ارى فيه تعبيرا عن اتجاه الهروب من الواقع والتهرب من رؤية المشاكل. ولا شيء اسهل من تطوير نظريات حول الراهن بالاستناد على وجهات نظر بشأن ماض غير ملزم بأدنى شيء، وذلك الماضي ليس غير ملزم بأدنى شيء فحسب وانما بالامكان تفسيره – لا تصحيفه عن سبق تعمد فقط وانما تفسيره ايضا – بأشكال مختلفة تماما. وسبق لي، في عدة مناسبات، ان عرضت رأيي الخاص في هذا الصدد والذاهب الى انه من التاريخ لا يمكن استخلاص اية عبرة.

مع ذلك فلست في حل من قول شيء ما بشأن فلسفاريخية بوعز عفرون حول بدايات شعب اسرائيل. وسأفعل ذلك بلغة البرقيات فقط لانني غير راغب في مزيد من الجدل حول هذا الموضوع. ان كل هذه الفلسفاريخية قائمة على نزعة معينة لا تعكس بتاتا ما يمكن تعلمه من التاريخ، ذلك ان ما يمكن تعلمه من التاريخ ليس محسوما وواضحا. ومن ركام الشهادات والوثائق ومخلفات الاثار والاكتشافات التي في متناول ايدينا يمكن تعلم اشياء مختلفة في اتجاه معين او في اتجاه مغاير. سنتطرق، مثلا، الى حقيقة اساسية. كلما رجعنا القهقرى الى المراجع الاولى نرى ان شعب اسرائيل لم ينظر الى ذاته، منذ البداية، بكونه «اوتوكاتوني». و «اوتوكاتوني» تعبير يوناني حدد الاثينيون بواسطته تعريفهم الذاتي كما لو انهم نشأوا او تكونوا من الارض نفسها التي أقاموا عليها. ومعنى ذلك انهم يقيمون فيها منذ تكوينهم. وذلك خلافا للسبط اليوناني الكبير الآخر وهو «الدوريون» الذين اقاموا اسبارطة. فهذا السبط كان واعيا لحقيقة انه هاجر الى ارضه من الشمال واحتلها من «الاكائيين» الذين سبقوه. ان وعي شعب ليس «اوتوكاتوني» يمكن ان ينمو ويتطور فقط من خلال معرفته بأنه ليس كذلك. لو ان شعب اسرائيل تبلور في ارض اسرائيل ضمن اطار المملكة او الممالك التي اقامها فيها لما كان اختلق من عندياته انه لم يتكون في هذه الارض. وفكرة ان شعب اسرائيل تكوّن في هذه الارض الخضراء والشحر ... استقلال دولة اسرائيل من بداياتها


* ليبوفيتش *

الكارهم. هدف هذه الشهادة هو، بطبيعة الحال، كبير: منح تعبير لتجدد الاستقلال القومي للشعب اليهودي. غير انهم لم يفلحوا في اعطاء تعبير لائق لهذا الحدث الذي يكاد ان يكون منفردا في التاريخ البشري. عندما اقام الامريكيون الولايات المتحدة حظوا بوجود اشخاص اصحاب فكر اصيل، مثل جيفرسون وزملائه، عرفوا كيفية اعطاء هذا الامر صياغة في شهادة هي واحدة من الشهادات الكبرى للفكر البشرية السياسي. اما وثيقة الاستقلال خاصتنا فانها، للاسف، ضحلة من حيث محتواها الفكري، حتى انها تستهل قولها بآية لا تعبر بشكل صحيح عن وعينا التاريخي جاء فيها: «في ارض اسرائيل نشأ الشعب اليهودي». بينما في الوعي التاريخي للشعب اليهودي، منذ فترة «التوراة»، لم يكن الامر على هذا النحو. فمثلما عرف الاسبارطيون ان آباءهم الدوريين وصلوا الى لاكديمون في زمان محدد (على ما يبدو في القرن الحادي عشر ق.م) هكذا عرف يفتاح الجلعادي ان آباءه، شعب اسرائيل، احتلوا ارضهم قبل زمانه بثلاثمئة سنة (سفر «القضاة»، الاصحاح الحادي عشر، فقرة ٢٦) (١). الامر نفسه ينطبق على فهم بوعز عفرون لبداية اليهودية القائل ان الديانة التي اصبحت ديانة الشعب اليهودي التاريخي تبلورت عمليا في سبي بابل. هذا الفهم نابع عن ايديولوجية معينة هي الايديولوجية البروتستانتية المعادية لليهودية لمنتقدي «التوراة» الالمان، الذين اوجدوا هذه الفلسفاريخية من منطلق لنزعة معينة. الحقيقة هي انه قبل سبي بابل بمئتي سنة، في فترة ازدهار مملكة اسرائيل، في زمان ملكية الملك الكبير «والذي أعاد حدود اسرائيل من مدخل حماة حتى وادي العربة.. والذي اعاد دمشق وحماة الى يهودا في اسرائيل»، قال النبي الذي كان ينطق باسم الرب: «لقد اصعدت اسرائيل من ارض مصر والفلسطينيين من كفتور وآرام من قير». هذه هي شخصية آلهة اسرائيل قبل مئتي سنة من بدء تبلور اليهودية كديانة عالمية، طبقاً لتلك الفلسفاريخية.

غير انه يمكن العودة الى «التوراة» نفسها، الى سفر «تثنية»، الذي باجماع الكل وايضا بحسب النهج التاريخي – الانتقادي المتطرف فانه نتاج من الفترة التي سبقت خراب الهيكل. هناك، وفي سياق الحديث حول تهيئة شعب اسرائيل لوراثة ارض كنعان، قيلت ايضا امور حول شعوب اخرى بينها الاعداء التاريخيون لاسرائيل (تثنية، الاصحاح الثاني، الفقرات ٤ – ٢٤). قيل عن الأدوميين: «لعيسو قد اعطيت جبل سعير ميراثا.. وفي سعير سكن قبلاً الحوريون فطردهم بنو عيسو وأبادوهم من قدامهم وسكنوا مكانهم كما فعل اسرائيل بأرض ميراثهم التي أعطاها الرب». وعن الموآبيين والعمونيين قيل: «لا تعاد موآب ولا تثر عليهم حربا لأني لا اعطيك من ارضهم ميراثا. لاني لبني لوط قد اعطيت عار ميراثا.. لا اعطيك من ارض بني عمون ميراثا لاني لبني لوط قد اعطيتها ميراثا»: اراضيهم كانت اراضي الايميين والرفائيين والزمزميين «ابادهم الرب من قدامهم فطردوهم وسكنوا مكانهم». وعن شعب لا صلة ظاهرية له بتاريخ اسرائيل قيل: «والعويون الساكنون في القرى الى غزة أبادهم الكفتوريون الذين خرجوا من كفتور وسكنوا مكانهم». معنى ذلك انه اذا كان الرب – حسب رأي مؤمنين كثيرين – «سيد التاريخ» فانه هو الذي يوجه مجريات كل الامم، التي يعد شعب اسرائيل واحدا منها.

بيد ان كل ذلك التاريخ، وكل الفلسفاريخية المرتكزة عليه، ليسا البتة موضوعا لنقاشنا في مشاكلنا الآنية. ولئن كنت واعيا لانتمائي الى اليهودية والشعب اليهودي اليوم فان وعيي هذا غير متعلق بمعرفة او بانتفاء المعرفة حول مجريات ما قبل ثلاثة آلاف وخمسمئة سنة، حتى ولا ما قبل ألفين وخمسمئة سنة. مشاكلي – الدينية والقومية – هي مشاكل ايامنا.

لنبدأ بالصهيونية التي يحملها العديدون، وبينهم مفكرون جديون ايضا، ما لم تحفل به ولا تحفل به: انها تمثل تحولا في الفهم الجوهري للشعب اليهودي في المرحلة المعاصرة، التي تمت خلالها الصهيونية في نهاية الامر، في القرن التاسع عشر. وانا لم ار الى الصهيونية في هذا الضوء بتاتا. ومنذ ان استقررت على رأيي فان الصهيونية، في نظري، تشكل برنامجا سياسيا واضحا في سبيل تجديد اطار الاستقلال القومي – السياسي للشعب اليهودي. وبهذا لم تقل كلمة او حتى نصف كلمة بشأن الشعب ذاته – من هو وما هو وما هي مضامين وقيم قوميته، الخ.. من هذه الناحية حققت الصهيونية ذاتها. ويمكن القول انه من بين الحركات الجماهيرية الكبرى التي قامت في العالم الغربي في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، فان الصهيونية وحدها هي التي حققت ذاتها. الاشتراكية، التي شكلت دائما فكريا ونفسانيا عظيما نحو مضامين قيمية في الواقع الاجتماعي والسياسي، فشلت في محاولات التطبيق، حد انها اليوم كفت عمليا عن الوجود كحركة. ثمة أجهزة حزبية اشتراكية، ولم يعد ثمة حركة اشتراكية في العالم. والحركات الهيومانية والليبرالية من القرن التاسع عشر لم تفلح في منع حربين عالميتين ومنع صعود الفاشية والبلشفية. اما الصهيونية فقد حققت ذاتها، لكن مشكلة بوعز عفرون – ومشكلتي ايضا – ليست الدولة ابدا وانما الشعب.

صحيح ان هدف الصهيونية تم انجازه، لكن هذا الانجاز لا ينطوي على اعطاء جواب على مشكلة القومية، مضمونا ودلالة، بالنسبة للشعب اليهودي المعاصر. انا لست فاشيا ولا اعلق على وجود جهاز سلطوي – سياسي دلالة قيمية وانما دلالة اوركيسترالية فقط. بوعز عفرون ايضا معاد، في وعيه، للفاشية مثلي، غير انه في لا وعيه ينجرّ وراء نزعة فاشية باناطته وجود شعب – الشعب بمفهومه المعاصر، المتنور – لا بمضامين قيمية خاصة به، وانما بسلامة جهاز الحكم والادارة الذي ينشئه ويديره للذاته – دولته والتي تتحدد سلامتها بموجب المبادئ السياسية المعروفة، او في اية حال المبادئ المعلنة للثقافة السياسية في عالم المجتمع الغربي «المتقدم» – نظام دمقراطي ليبرالي يقولب شخصية الشعب بروح هذه الثقافة. ان بوعز عفرون يطمح الى مثل هذه الدولة كاطار كياني لشعب اسرائيلي جديد. وعليه فهو يشطب طريق الحركة الصهيونية لكونها – خلافا لما يرى انه الفكرة الصهيونية الثورية الاصلية – لم تفلح في الانعتاق من التشبث الفكري والنفساني بمضامين وقيم الفرادية للشعب اليهودي التاريخي والديانة اليهودية، وبهذا تسببت في عرقلة التطور الطبيعي للدولة. وبن غوريون رأى في الديانة اليهودية انها الكارثة التاريخية للشعب اليهودي لكونها عثرة في طريق تقولبه القومي الطبيعي على اساس من الدنيوية والوطنية. ثمة مفارقة ما في هذا الالتقاء بين دافيد بن غوريون وبوعز عفرون: كلاهما يزعم «القومية الطبيعية».

سبق ان تحدثنا حول نزعتين في فهم العلاقة بين الشعب والدولة: من جهة واحدة المصطلح شعب يعني شعب دولة معينة. الدولة سابقة على الشعب، جهاز اطار سلطوي القامته وحدة بشرية للذاتها ويقولب افرادها كشعب، بكلمات اخرى: ينتج قومية. ومن جهة اخرى – دولة معتبرة دولة شعب معين. الشعب سابق على الدولة، وحدة بشرية ذات مضمون قومي خاصتها تقيم للذاتها اطارا سلطويا كيانيا يصبح دولتها.

النزعة الاولى هي الاساس الفكري للفاشية: الفكرة القائلة ان الجهاز السلطوي لشعب مخول ليس فقط بفرض سيادته، من غير قيد او شرط، على المواطن بل ان هذا الاخير ملزم بأن يعترف بكون الاول السلطة المخولة العليا – ومرة اخرى من غير قيد او شرط – من ناحية قيمية واخلاقية. وهنا بالامكان الاقرار بحقيقة تاريخية وهي انه لو كان هناك – ويجوز انه ما زال هناك – كيان اسمه الديانة اليهودية فانه يقف على النقيض الفكري العام لهذه النزعة، وهذا ربما احد جوانب رفعة الديانة اليهودية. فهي في جميع تقلباتها، منذ فترة التوراة وحتى الفترة الاخيرة التي لا تزال فيها قائمة كعنصر حيّ، رفضت ان ترى في الدنيوية والوطنية جوهرا لها. منذ مرحلة الاسرائيلية القديمة، التي تميز فلسفاريخية بوعز عفرون بينها وبين اليهودية المتأخرة، استطاع النبي عاموس، وهو وطني اسرائيلي حتى النخاع، ان يقول باسم ربه عن «هذه المملكة الخاطئة»، دولة شعبه، «وأبيدها عن وجه الارض غير اني لا أبيد بيت يعقوب تماماً». انه يفصل فصلا تاما بين الدولة وبين الشعب ليس بوصفه وطنيا معاصرا. وليس بمقدوري هنا الامتناع عن ايراد واحد من احاديثي مع دافيد بن غوريون في سنوات الخمسين، في اعقاب مقالاتي في تلك السنوات، بشأن فصل الدين عن الدولة، وبشأن الديانة اليهودية ودلالتها في تاريخ الشعب اليهودي وعلى الاخص بشأن «العهد القديم» الذي كان تعاطيه معه انتقائيا بروح النقد المسيحي، اي عداء للتوراة والشرائع وتقدير للانبياء (الذين لم يفهمهم البتة). وفي مناسبات مختلفة اعرب بن غوريون عن تأثره واعجابه بعاموس، المحارب الكبير من اجل العدل الاجتماعي (وربما ليس مصادفة انه منح ابنه اسم عاموس). وعلى هذا الاساس فقد ذكرته بحقيقة ان عاموس كان من مجابلي الملك يربعام بن يوآش، الذي من ناحية مصطلح



أنتِ

* عبد الرحيم الشيخ يوسف *

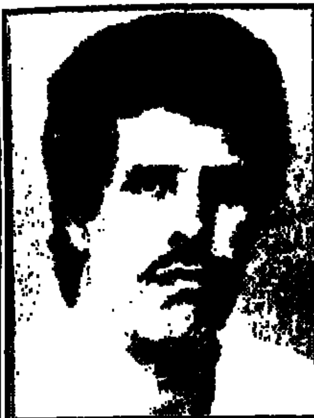
في سُطور الحبِّ في رَجْع الصدى
في زهورِ الروض في همس الجداولْ
في نجوم الليل في شمس المدى
في وجيب القلب في صدق الشمائلْ
أنتِ فكر شعَّ في الدنيا سناهْ
حين تجتاح السوافي أرضنا
حين يرزمُ في الفضا رعدُ غبيّْ
حين يزحفُ نحونا ثلجُ العنا
حين يرصدُ بيتنا عقلُ شقيّْ
أنتِ حصنٌ شامخُ الرأسِ عُلاه
واذا الضبعُ عوت مثل الذئابْ
واذا الشرُّ تنزّى للوثوبْ
او تنادى السخف في كلِّ الشعابْ
يرتوي بالظلم والقولِ الكذوبْ
أنتِ صوتُ الحقِّ وضّاحٌ صداهْ

واذا ما فوّح الوردُ العطورْ
في رحاب السهل او فوق الجبلْ
واذا ما صيغ شعرٌ في بحورْ
راسماً للقلبِ ذكرى او أملْ
أنتِ شعرٌ فوَّف اللحنُ شذاهْ
واذا ما سدد الطيشُ السلاحْ
يبتغي قتلَ عصفورٍ فصيحْ
واذا ما هبَّ كلبٌ للنباحْ
يشعلُ الفتنةَ والدمَّ يبيحْ
انت سيفٌ ردَّ للجهلِ أذاه
راجعي تاريخ حبي راجعي
وانهلي من نبعهِ في كل آنْ
واغرسي الحبَّ بدفء الأضلعِ
وتعالي نملأ الكونَ أمان
وتعالي نُبلغ العمرَ مُناه

(الطيبة)

دال هاربٌ من بيته

● محمود مرعي ●



يتسللُ سيف الليل الى عتباتِ الفرح المتآكل، يسلخُ عن جسد الفرح الضحكَ وراء الضحك، ويتركه فوق صهيلِ الليل، ويضحكُ ملء الضحك لدى السلخِ، ولم توقظني الليلةُ بعد. فهل هذا نومي المتوثّبُ يدفعني نحوي كي أقتلني فوق الحلم، لماذا عصفورةُ تاريخي تنشدني ما سالَ من العُمران على قفري، ما ذنبي كي أطعَم حمل الموتِ لوحدي، ما ذنبي كي ينغرس النزعُ بحلقي، أقصى ما أذكره ان صباحاً بلوريًا ناداني، فمشيتُ على وجهي من فرحي، أقصى ما أعرفه ان دواء جنوني يعرفه الصبحُ، وأقصى ما أطلبه ان أقرأ أسمائي في باب الصبحِ كما كُتبت عند مهبِّ سفوح الصبح، وأقصى ما أطلبه هو أقصى ما أطلبه، وهو الأقصى من قُربي إن برقَ الصبحُ، هو الليلُ يوقّع فوق المدلولِ دوالاً، بل ويُزوّجُ ما يخلقُ من لحنٍ لحني، ما أسطع هذا الليل وما اكبره، لو ان عصا موسى معي الان ضربتُ طريقاً في الليل لتوصلني جسدي المشلول على قارعة الافق الغربي من الافق الغربي، هل كان عليَّ لأمشي تشييع خُطايَ الى قبري، هل كان عليَّ لكي أتنفّس ان أخنق أنفاسي، هل كان عليَّ لكي أحيا ان أقتل آبائي، ان أقتل حَرفي بالحرف، وهل كان عليَّ لكي أتكلم ان لا اركض الا في الصمت، وهل كان عليَّ لأحضر ان أخرج أجساداً من جسدي، هل كان عليَّ لأقطع دربي ان لا أبصر اين الدرب الى مبتدأ الدرب الى جُمجمتي، يا نازِكُ، قد جئتُ بلا رأسٍ كي ادخل من باب الموت الى باب الموت كما شئت، لأحظى بعناق الموت الغائب عني منذ الايقاع الاول حتى مجرِ «الفاعل»، فاحتملي هذيان التائه إن جاسَ خلال تجاعيد مواعيد مسرّتنا الملغومة بالعدم المتسربل ثوب الريح للَضْم أغانينا.

* * * * *

بحري يتوسّد ذاكرتي ... والبحرُ مضاربُ أهوائي
بحري لابحرَ لشاطئه ... لا شطَّ لترسُو أنوائي
وكِلانا يبحثُ عن بحرٍ ... للقاء النائي بالنّائي
بحري لم أبصر سِحنتَهُ ... الا في سَكرةِ إغواءِ
فظهوري علاّمة غيبته ... وظهورُ البحرِ باخفائي
صعبٌ ان لا تدري دربا ... للبحرِ سوى في الإغماءِ
صعبٌ ان تشربَ أوديةً ... من فيضِ الماء بلا ماءِ
والريحُ تعلل قسوتَها ... بالعشقِ لكثرة أسمائي
بحرٌ للريحِ يمدّ يداً ... تهديني جُرعةَ إشفاءِ
والجرعةُ موتٌ مُندلقٌ ... عن كفِّ البحرِ لأعضائي
وتفوزُ بحري زوبعةٌ ... والعصفُ يطوفُ بأحشائي
يستنجدُ ركضي، يسألني ... أشفاءُ الداء لدى الداء؟
يا ثورةَ بحري لا تقفي ... موجي كي يصحو إغفائي
هزّي بيديك فضا جسدي ... جوسي بخيولك أثنائي
ثم احتضنيني والتصقي ... من فوق تفجّر أجزائي
[illegible] ... من موتٍ يحيي أضوائي
وارميني [illegible] ... [illegible]

(المشهد)

◄ فصل اضافي من كتاب «شعب، ارض ودولة»

القومية الراثي الى الوطنية بأنها القيمة الاسمى لشعب كان شخصية غاية في العظمة في تاريخ شعب اسرائيل. و «أعاد حدود اسرائيل من مدخل حماة الى وادي العربة.. وأعاد دمشق وحماة الى يهودا في اسرائيل». وعن هذا البطل القومي تنبأ عاموس باسم الرب بقوله: «وأقوم على بيت يربعام بالسيف.. يموت يربعام بالسيف ويسبى اسرائيل عن ارضه». لم يعقب بن غوريون على هذا بشيء. اذن فان من ينظر الى الوطنية، اي الى قيام الأطار السلطوي لدولة، بوصفها الامر الجوهري لشعب، يجب عليه الاقرار بأن تاريخ الشعب اليهودي جرى تشويهه من جانب الديانة اليهودية.

شعب اسرائيل القديم كان منقسما انقساما سبطيا في ايام القضاة وجرى توحيده لفترة قصيرة في مملكة واحدة عادت وانقسمت الى مملكتين. لكن سواء سادت بينهما علاقات صداقة او علاقات عداء، وحتى حروب لم يبطل لدى شعبيهما الوعي العميق بأنهما شعب واحد (بيت يعقوب) منقسم تقسيما سياسيا فقط. وهناك نظير لهذا الامر في عصرنا: الالمانيتان، كوريا الشمالية وكوريا الجنوبية، فيتنام الشمالية وفيتنام الجنوبية. تبقى حقيقة تاريخية هامة هي التالية: سبط واحد من الاسباط الاثني عشر، وهو السبط الذي اقام مملكة يهودا، استدام وجوده والباقون، الذين كانت لهم مملكة ايضا، لم يستديم وجودهم رغم انهم لم يبادوا ابادة جسمانية. يعني ذلك ان اساس الوجود لم يكن اطارا وطنيا رسميا وانما مضمونا معينا غير مرتبط بدولة. وهذا المضمون كان مفتقدا لدى عشرة اسباط - كانوا مملكة جبارة في ايام يربعام بن يوآش - ولهذا لم يبقوا كشعب عندما صار هذا الاطار الوطني الى الفناء. بينما بقاء شعب مملكة يهودا تبين انه غير مرتبط بالاطار السياسي. الى هنا بخصوص الفلسفة[illegible].

يقرر بوعز عفرون ما يحلو له القرار من ناحية معيارية بشأن ماذا يجب على شعب ان يكون فيقول: يجب ان يكون ذا اساس اقليمي واساس اطار سياسي. لا افهم دلالة تعبير «يجب» هنا. وسبق ان قلت ان هذا التعبير لا معنى له الا في عالم معرفة الطبيعة. في العلوم الطبيعية، فان حجرا موجودا في مجال قوة الجاذبية يتبقى ان يسقط. لكن انسانا - ولا فرق هنا بين الانسان الفرد وبين الجماعة البشرية - موجودا في اية وضعية كيانية يمكن ان تطرأ على البال لا يتوجب عليه ابدا فعل امر معين. بمقدوره ان يفعل عكس هذا الامر وفقا لحسمه الارادي. ومصطلح «يجب» غير قائم البتة سواء حيال وجود الانسان الفرد او حيال وجوده في الواقع التاريخي.

لكن بوعز عفرون تطرق بصلافة كبرى حين قال ان الشعب اليهودي [illegible] بموجب تعريفه موجود عمليا فقط من ناحية ذاتية لأن المقاييس الموضوعية للقومية مفتقدة فيه. وانا اقول: الشعب عموما غير موجود الا من ناحية ذاتية وهو ليس معطى موضوعيا. ان شعبا ما يكون موجودا فقط بقدر وجود وحدة بشرية يعي ابناؤها انهم ابناء شعب معين. ليست هناك مضامين هي معطيات موضوعية يمكن القول بصددها انها العنصر الدستوري لشعب - مع حفظ الفارق بين هذا وبين دولته. وثمة فوارق هائلة بين شعب واخر من ناحية ماهية مضامين هذا الوعي. وهاكم امثلة: ثمة شعب سويدي، وثمة شعب هندي. الوعي بالسويدية، قائم لدى ثمانية ملايين سويدي والوعي بالهندية قائم لدى ثمانمئة مليون هندي وليس بينهم قاسم مشترك. الشعب السويدي محدد التعريف من ناحية بيولوجية ولغوية، وهو صاحب اطار وطني قومي منذ حوالي الف سنة. اما الشعب الهندي فانه مفتقد الى الوحدة العرقية والوحدة اللغوية، وعلى مدى ثلاثة الاف من سنوات تاريخه لم يكن له اطار سياسي - قومي حتى سنة ١٩٤٧.

■ بوعز عفرون: كان هناك اطار: الامبراطورية المغولية.

■ ليبوفيتش: لم تنتشر ابدا على كل انحاء الهند. والهنود رأوا فيها سلطة اجنبية، ولم تكن هذه الاطار السياسي القومي خاصتهم. مع ذلك كان هناك ولا يزال شعب هندي يرتكز على الهندوسية. نرى ان هناك مضامين مختلفة للوعي القومي. وبأي حال لا يمكن فعل ما حاوله بوعز عفرون في اعقاب كثيرين سواه وهو اقرار مقاييس موضوعية لهوية قومية. سبق ان قلت إنه حتى القرن التاسع عشر، وحتى هنا ليست عامة، انطبق على الشعب اليهودي تعريف الرابي سعاديا غاوون: «أمتنا ليست أمة الا في توراتها». وفعلا لم يكن للقومية اليهودية مضمون اخر. ومنذ القرن التاسع عشر فصاعدا لم يعد هذا التعريف متعذرا للطابع القومي للتجمع البشري الذي ما زال معتبرا بانه الشعب اليهودي. وما من تعريف اخر حلّ محله. ولهذا فان ماهية ومضمون القومية اليهودية اليوم هما اشكاليان ودولة اسرائيل لا تحل هذه المشكلة.

يعالج بوعز عفرون مسألة جوهر دولة اسرائيل وشخصيتها العتيدة. وانا اعالج الشعب اليهودي متسائلا عن راهنية ودلالة هاتين الكلمتين: باي مفهوم هو «شعب»، ومن اية ناحية هو «يهودي»؟ اي مقياس قومي ينطبق عليه؟

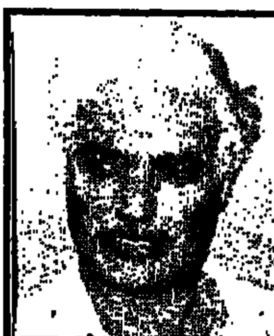
(يتبع - في عدد يوم الجمعة القادم)

الهوامش:

١ - [illegible]

حجر في الهواء

خمسة ايام تساوي ثلاثة اشهر



احمد دحبور

الحادثة باتت معروفة، وقد يلزم الان، الاطلاع على الحيثيات، ولأمر في نفسي لا في نفس يعقوب ولا جدعون، استخدمت الفعل الماضي الناقص «بات»، لان الامر يتعلق بالمبيت، ولان فعل المبيت الذي قمت به كان الفعل الاكمل، ولو دعيت اليه ثانية لاستجبت مهما كانت العواقب.

والحادثة، يا سادة يا كرام، تبدأ في شهر آب اللهاب من العام الذي تركناه ورانا قبل بضعة ايام، فقد تلقيت دعوة كريمة من مكتبة مجد الكروم، وانتظرت اليوم تلو اليوم، بالساعة والدقيقة، ولم يأت التصريح الذي يسمح لي بالانتقال من الجزء المتاح لي من وطني، الى الجزء الاخر الذي يضم مسقط رأسي.. وهكذا الغيت الامسية المعدة لي في عروس الشاغور.

ولكن ربك قريب، فقد تلقيت، منذ فترة، دعوة كريمة وقعها العم نمر مرقس، بعد ان كتبت بالعبرية، ليصار الى ارفاقها مع الطلب الذي يقدمه الارتباط الفلسطيني، الى من نصطلح عليهم بالطرف الاخر، وتتضمن الدعوة طلب مشاركة في اعمال افتتاح مؤتمر منطقة عكا للحزب الشيوعي، وكانت مشاركتي، بطبيعة الحال، محددة بقراءة الشعر امام جمهور من شعبي واهلي.. وانتظرت التصريح وانتظرت حتى يئست، وفي ليلة مليئة بضوء القمر، بشرني ضابط الاتصال الفلسطيني، بأن التصريح حضر، وانه لمدة شهر بالتمام والكمال، فماذا تتوقعون بربكم ان اتوقع؟ اذا كان التصريح جوابا عن دعوة الى ندوة تبدأ الساعة السابعة مساء، أفلا يعني هذا ان ثمة موافقة ضمنية على بقائي الى ما بعد السابعة؟ وكيف لا اتوقع ذلك، وهم منحوني شهرا كاملا، بعد ان كانوا لا يعطون - اذا اعطوا - الا تصريحا لا يتجاوز اليوم او اليومين؟ ثم هل ينكر احد على طفل في الخمسين من العمر، نال فرصة زيارة الجنة، ان ينشغل عن تعليمات نقاط الحدود التي تفصله عن تلك الجنة؟ من الصعب ان يفهم صاحب الخوذة والوجه العبوس، ان يقول واحد مثلي في حالة وجد:

وأراد ربك ان تنادي باسمه — حيفا، فعلم آدم الاسماء

المهم انني تلقفت التصريح وطرت الى الجليل، وها انذا اتطوع بتقديم تقرير عما فعلت. ألقيت شعرا في كفرياسيف، وأحيى المجلس المحلي لمجد الكروم فكرة الندوة القديمة، وكان لا بد، لترتيب الامر مع ضيق الوقت، من يومين او ثلاثة، وكان ان قرأت شعرا في مجد الكروم، وخلال هذا الوقت، بتّ يومين في الناصرة، ومثلهما في عكا، ويوما في مجد الكروم، وسأعترف امام الله والشهود والمحلفين، انني ذهبت الى حيفا مرتين فقط، وانني كنت اشعر، كما في كل مرة، ان ثمة علاقة بين عظامي وحجارة وادي النسناس، وانني حيث تنقلت، في الجليل، كنت اشعر انني صاحب بيت، وليس هذا كلاما في السياسة، انه شيء يخص الروح، وكما ان الصحة تاج على رؤوس الاصحاء لا يراه الا المرضى، فان الوطن تاج على روح البشر لا يراه الا المحروم من الوطن، وما عدا ذلك لا شيء، لم تكن هناك متفجرات في قصائدي، ولا منشورات مخبأة في شعري الابيض، ولم اعرف كيف مرت الايام الخمسة، لكنني غادرت، وحين مررت بحيفا اجفل كل ما في جسمي من احاسيس، وصدق الشريف الرضي:

وتلفتت عيني، فمذ خفيت — عني الطلول، تلفت القلب

وكان ان ودعني الصديقان ابراهيم الخطيب وعلي حريكي عند نقطة ايرز (بالفلسطيني: معبر حانون) وتوجهت الى الباب الالكتروني الذي اكد خلوّ ثيابي وبدني من الديناميت والبارود، ولم يتيسر له ان يطلع على الافئدة، اما الجندي الذي كان واضحا لي انه لا يحبني (السبب بسيط هو انني لا استطيع الا ان ابادله المشاعر ذاتها) فقد تمعن في التصريح لحظة، وطلب مني ان اذهب الى هناك، ويبدو انه لا مناص من ان ارش على الموت سكرا، فقد وجدت نفسي في تمثيلية هزلية، اسمها «البحث عن هناك»، حتى اذا عثرت على «هناك»، برز لي ضابط من خلف باب حديدي، سألني عن مشكلتي، وقبل ان افتح فمي، قال: «بسيطة.. انتظر»، ولم اكن املك الا الانتظار، والانتظار «هناك» مناسبة لمشاهدة جموع الفلسطينيين المعلقين الذين لا يعرفون ماذا ينتظرون، من اولئك مثلا، رجل طاعن في السن، من عكا، جاء ليتعرف على ابنائه وبناته وحفدته، فقيل له ان عليه ان يعود ادراجه الى عكا، ومن هناك يتصل بهم في ايرز على هذه الارقام (واعطوه ورقة فيها ارقام تلفونات وفاكسات) وان ينتظر الجواب خلال اسبوع او اسبوعين، فما كان من الرجل الشيخ الا ان امسك الورقة بهدوء يبعث على الحسد قبل الاعجاب، ومزقها فتافيت ثم رشقها في وجه الضابط، واتجه الى كرسي بلاستيكي قائلا: «يا كريم.. وهاي قعدنا»، ولا اعرف ما اذا كان لا يزال «هناك» حتى الان، ام انهم اعادوه الى مدينة الاسوار بالقوة!!

عرفت مخالفتي اخيرا، وبعد وقت مديد.. فالتصريح المعطى الي، يلزمني يوميا بالعودة الى غزة في السابعة مساء، ولم افهم الكلام في البداية، فاذا كانت الندوة تبدأ في كفرياسيف في السابعة مساء، وهذا مكتوب في نص الدعوة، فكيف آكل لأشبع دون ان اتناول كسرة خبز، ودون ان استخدم رغيفا؟ هل يظن صاحب الخوذة والوجه العبوس انني من اهل الخطوة؟

كان الضابط واضحا: هذا لا يعنيني، مكتوب انك يجب ان تعود كل يوم مساء الى غزة، وانت بتّ هناك، هذه مخالفة، ولكن ماذا كنت تفعل في الجليل؟.. كان من المستحيل على لغات العالم كلها ان تشرح ما كنت افعل، فقد كنت اجدد حياتي وأطيل عمري، ولكنني استطيع ان ابلغه بأنني، على المستوى الاجرائي، كنت اقرأ شعرا.. وسأعترف بأنه كان مهذبا، وان ايقاعه اختلف منذ ان رأى صورتي على غلاف كتابي.. كان تعليقه الوحيد: «كان شعرك اسود.. لماذا ابيض بهذه السرعة؟».. وذهب وراء الباب الحديدي. وجاء ضابط اخر، عربي هذه المرة، ولكنه من جيشهم.. كانت عيناه تتضامنان معي، وكنت احس انه محرج من شيء ما، تنبه الى هدية مجلس مجد الكروم، وهي لوحة نحاسية منقوش عليها كلام طيب يتضمن ترحيبا بي مع ايراد اسم وضعي الوظيفي في السلطة الفلسطينية، وقد أبدى الضابط اهتماما بذلك، وهنا تلزمني الامانة ان اسجل انهم لم يتعرضوا بأي نوع من الاذى، الا الاذى المعنوي الذي اوجده هذا الوضع الشاذ، ثم جاءت لحظة «النطق بالحكم»: كان من المفروض ان نقتادك الى الحجز، ولكن نظرا لوضعك الخاص فقد أعفيناك من ذلك، وبما انك خالفت اللوائح وبتّ، دون اذن، خمسة ايام في الجليل، فاننا نصادر التصريح، ونمنعك من دخول الخط الاخضر والضفة ثلاثة اشهر كاملة، وهذا بيان منا بذلك، وعليك ان توقع.. ووقعت.

هل عليّ ان أشي بالضابط العربي؟ لقد اراد ان يعبر عن تضامنه معي، بالسماح لي بالخروج من باب غير مكتظ بالمسافرين، مما يعفيني من العودة الى الباب الالكتروني.. ومن يدري فلو عبرت ذلك الباب ساعتها، لربما كان الكمبيوتر سجل حرائق، واصوات نساء ثواكل، وارتطام موج المتوسط بحجارة الكرمل وصخوره..

لقد حسبتها جيدا: مبيت خمسة ايام مقابل منع ثلاثة اشهر، فهل اكون مغلوبا قياسا الى الصفقة الفنطازية التي اقترحتها على حكومتهم ذات يوم، على صفحات «الاتحاد»، وفي هذه الزاوية تحديدا؟ لقد قلت يومها انني ارجو الموافقة على السماح لي بالاقامة في حيفا شهرا، يقابله شهر اوضع فيه في اي سجن يريدون، وانني راض بهذه الصفقة - ولا ازال - بقية عمري، كان ذلك تعبيرا يصدر عن اي حيفاوي او عكاوي او نصراوي او.. او.. مثلي، وكان خليطا من الجد والوجد، اما الذي فعلوه فأمر مباشر، انه قرار اجرائي محدد، فهم لا يودعونني السجن، مع انهم - كما اوضحوا دون لبس - كانوا قادرين على ذلك، ولكنهم يمنعونني من رؤية مسقط رأسي اثنين وتسعين يوما مقابل الايام الذهبية الخمسة من عمري.. ومن قال ان المنع ليس سجنا، اذن فقد تعاملوا، موضوعيا، مع طلبي الفانطازي الذي بدا مبالغا به، ولكنهم ضاعفوا الحكم، فليس الامر شهرا بشهر، بل ثمانية عشر يوما من النفي مقابل يوم واحد من المبيت.. احسبوها.

ومرة ثانية، لا اريد ان احكي في السياسة، ولكن اذا كانت الحادثة تأتي على هذه الدرجة من القسوة والفظاظة والفجاجة واعدام الروح، أفلا يحق لنا ان نتساءل عن حقيقة هذه «العودة» التي عدناها، ألهذا وجدتني اقول في الاسابيع الاولى من اجتماعي الى الوطن؟

وددت ان اسقط في يديها
كما رسمت،
ان اعب من ندى سرابها
حلمت ان يدخلني السؤال في جوابها
وقلت: لو تتركني وديعة لديها
فاين اترابي القدامى ليروا اهلي الجددْ؟
وكيف جئت احمل الكرمل في قلبي،
ولكن كلما دنا بَعُدْ؟
حيفا.. اهذي هي؟ ام قرينة تغار من عينيها
لعلها ماخوذة بحسرتي:
حسرتها عليَّ ام يا حسرتي عليها؟
وصلتها ولم أعد اليها
وصلتها ولم أعد اليها
وصلتها ولم أعد..